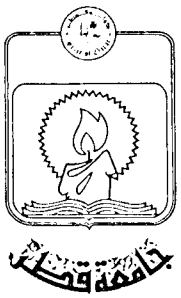

جامعة قطر
كلية الشريعة والدراسات

مجلة

مركز بحوث السنة والسيرة

العدد الخامس

١٤١٠/١٤١١هـ - ١٩٩١م

أضـــواء على :

أحاديث الإسراء والمعراج

للدكتور / سعد محمد الشيخ (المرصفي)
كلية الشريعة الإسلامية بالكويت

-٤٥٩-

الفصل الأول
في رحاب الأحاديث

أدلة الإسراء والمعراج :

كانت معجزة الإسراء والمعراج عوضاً عن جفوة الأرض للرسول ﷺ، وفقد النصير، ومنحة بعد محنة، قال تعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السمع البصير﴾ (١).

وهنا نبصر التنزيه والتقديس في مطلع هذه الآية الأولى من سورة الإسراء، كما نبصر الحمد في ختامها:

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾ (٢).

ونبصر عظمة المنحة بعد ضراوة المحنة، حيث كانت المعارضة شديدة قاسية، عنيفة جاسية (٣)، لأن كلمة التوحيد التي أعلنها الرسول تنطوي في أعماقها على العبودية الحقة، والإذعان الكامل لمنهج الحق..

ونبصر في الوقت ذاته أن هناك أسراراً خاصة بخوارق العادات لا نعرفها، ولقد تكشف لنا من العلم ما كان محجوبا، وهناك من سيتكشف للأجيال القادمة..

ومن هنا كانت تلك المنحة التي أيد الله بها خاتم النبيين، وسجلها القرآن الكريم الذي تكفل الحق بحفظه.. فقد أختير الرسول عليه الصلاة والسلام من قوم عرفوا بتملك زمام الفصاحة والبلاغة، والتصرف في فنون القول وضروبه، حتى كان هدف العاقل منهم أن يكون شاعراً مفلقاً (٤)، أو خطيباً مصعقاً (٥)، وكانوا جميعا يتفاخرون بالشعر والأدب..

---

١ - سورة الإسراء: آية ١.
٢ - سورة الإسراء: آية ١١١.
٣ - جاسية: أي صلبة: المعجم الوسيط (جسا).
٤ - شاعر مفلق: يأتي بالأعجايب من فنون القول: مجمل اللغة (فلق).
٥ - مصقع: أي بليغ: المصباح المنير (صقع).

ومن ثم كانت آية الرسول الكبرى قرآنا يتلى بلغ أقصى درجات البلاغة التي يعجز الخلق كل الخلق عن مجاراتها بحال من الأحوال . .

وإذا كانت معجزات الأنبياء السابقين في صورها العامة ملائمة لما أشتهر في زمان كل رسول، حتى إذا ما عجز الناس جميعهم عن الإتيان بمثلها كان ذلك أكبر شاهد على صدق من ظهرت على يديه . . فقد شاء الحق أن يجمع الفضل من أطرافه لخاتم رسله، فأعطاه معجزات حسية، لأن الناس ليسوا سواء في الإدراك والتفكير . ومن ثم أوتي من الآيات المتكاثرة مالم يؤت غيره من الأنبياء . . ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفي به فضلاً منيفاً [1] على سائر المعجزات . .

ونقل البيهقي عن الشافعي أنه قال : ما أعطى الله نبياً شيئاً إلا أعطى الله محمداً ﷺ ما هو أكثر منه، فقيل له : أعطى عيسى بن مريم إحياء الموتى، فقال الشافعي : حنين الجذع أبلغ، لأن حياة الخشبة أبلغ من إحياء الميت، ولو قيل : كان لموسى فلق البحر، عارضناه بفلق القمر، وذلك أعجب، لأنه آية سماوية، وإن سئلنا عن انفجار الماء من الحجر، عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه ﷺ، لأن خروج الماء من الحجر معتاد، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب، ولو سئلنا عن تسخير الرياح لسليمان، عارضناه بالمعراج [2] .

وفي القرآن الكريم قصص لهذه المعجزات . ومن تتبع منهج القرآن وجد أنه اعتمد في الإقناع على المحاكمة العقلية، والمشاهدة المحسوسة لعظيم آلاء [3] الله، والمعرفة التامة بالرسول النبي الأمي بما يجعل نزول القرآن عليه دليلاً على صدق دعوته :

﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ [4] .

إن مقالة هؤلاء عن الآيات يعنون بها الخوارق المادية التي صاحبت الرسالات من

---

١ - منيفاً : زائداً : المصباح المنير (نيف).

٢ - مناقب الشافعي : ٣٨.

٣ - آلاء الله : نعم الله : المعجم الوسيط (ألى).

٤ - سورة العنكبوت : آية ٥٠ - ٥١ .

قبل، والتي لا تقوم حجة إلا على الجيل الذي شاهدها، بينما تقوم حجية الرسالة. الخاتمة على كل من بلغته الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن ثم جاءت آياتها متلوة في الذكر الحكيم الذي لا تنفد (١) عجائبه، والذي تتفتح كنوزه لجميع الأجيال في جميع الأحوال:

﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ (٢) وقد أرادت قريش أن تتحدى الرسول ﷺ بأن يأتيهم بالخوارق الكونية، وسجل القرآن ذلك في سورة الإسراء:

﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾.

فكان الرد عليهم:

﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ (٣).

إن الأمر ليس مجرد خوارق كونية، فالتحدي قائم بالقرآن الكريم، وفي نفس السورة نقرأ قبل هذه الآيات:

﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾.

ونقرأ التعقيب على هذا في الآية التالية:

﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ (٤).

وفي نفس السورة نبصر أن التحدي الأكبر إنما هو بالقرآن الكريم، وأن الهدف الكبير من الإيمان أن يعمل الناس صالحاً وفق ما أراده الله:

---

١ - لا تنفد: لا تفنى ولا تنقطع: المصباح المنير (نفد).

٢ - سورة العنكبوت: آية ٤٩.

٣ - سورة الإسراء: آية ٩٠ - ٩٣.

٤ - سورة الإسراء: آية ٨٨ - ٨٩.

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ (١).

ونبصر منهج القرآن في بيان أن كثرة الخوارق لا تنشيء الإيمان في القلوب الجاحدة القاسية، والنفوس الميتة الجاسية، ونحن نقرأ في نفس السورة :

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فأسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا، قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يافرعون مثبورا. فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا. وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا﴾ (٢).

ونبصر موقف أهل الإيمان عقب تلك الآيات مباشرة :

﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا. وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا. قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا. ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ (٣).

وهكذا تصور الآيات مشهد الذين أتوا العلم من قبله، وهم لا يتمالكون أنفسهم، وتنطلق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس عميق بالحق، ويغلبهم التأثر البالغ، فلا تكفي الكلمات في تصوير ما يجيش في صدورهم، فإذا القطرات التي تكونت خشوعاً، وتجمعت خضوعاً، تتساقط دموعاً!

ونبصر تسجيل القرآن الكريم لهذه المعجزة في أول سورة الإسراء - كما أسلفنا - كما نبصر الأحاديث الكثيرة في الإسراء والمعراج - كما سيأتي - تسجيل تلك المعجزة الكبري.

وتدفعنا منهجية البحث في المقدمة إلى بيان مفهوم الإسراء والمعراج، وحكم كل منهما، قبل البدء في ذكر الأحاديث ورد الشبهات.

---

١ - سورة الإسراء : آية ٥٩.

٢ - سورة الإسراء : آية ١٠١ - ١٠٤.

٣ - سورة الإسراء : آية ١٠٥ - ١٠٩.

مفهوم الاسراء :

الإسراء مصدر أسرى(١)، مأخوذ من السرى، وهو سير الليل، تقول: أسرى وسرى إذا سار ليلاً بمعنى، هذا قول الأكثر، وقال الحوفي: أسرى: سار ليلاً، وسرى: سار نهاراً، وقيل: أسرى: سار من أول الليل، وسرى: سار من آخره، وهذا أقرب.

مفهوم المعراج :

أما المعراج فهو مفعال من العروج (١)، ويطلق على الصعود، وكأنه آلة له، وأصله: عرَج : (بفتح الراء) يعرُج (بضمها) : إذا صعد، وسيأتي في الأحاديث أن النبي ﷺ عرج به إلى السماوات السبع فما فوقها، ورجع من ليلته. وبهذا يتضح أن المعراج يطلق على صعود النبي ﷺ إلى السماوات السبع وما فوقها، ورجوعه في جزء من الليل.

حكم الإسراء والمعراج :

والإسراء - كما سبق - ثابت بالقرآن الكريم، وثابت أيضا بالأحاديث الكثيرة (٢) التي رواها الشيخان وغيرهما، وقد تواترت (٣) الأخبار بأنه ﷺ أسري به على البراق، وعليه فالإسراء متواتر، وكونه على البراق كذلك.

ونقل ابن كثير عن أبي الخطاب عمر بن دحية في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» قوله (٤) : تواترت الروايات في حديث الإسراء. . . . . ثم قال : فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون :

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ (٥) .

ولهذا فإن الإيمان بالإسراء واجب، وجحوده يخرج عن ملة الإسلام، لأنه إنكار لما جاء في القرآن، وتواتر من الحديث، وخرق لإجماع المسلمين.

---

١ - معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب ، والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط (سرى) وفتح الباري : ٧ : ١٩٨، وشرح المواهب اللدنية : ٦ : ١٠ .

٢ - معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، وتاج العروس، والقاموس المحيط، والمعجم الوسيط (عرج)، وانظر : عمدة القاري : ٤ : ٤٣ .

٣ - انظر : شرح المواهب اللدنية : ٦ : ١٢ - ١٤ .

٤ - نظم المتناثر في الحديث المتواتر : ١٣٣ .

٥ - تفسير ابن كثير : ٣ : ٢٤ .

٥ - سورة الصف : آية ٨ .

أما المعراج فقد أشار إليه القرآن الكريم - كما سيأتي - وثبت بالأحاديث الصحيحة التي رواها الشيخان وغيرهما، ولذلك لا يجوز إنكاره.

وإليك أهم هذه الأحاديث:

الحديث الأول:

وهو أجود أحاديث الإسراء والمعراج وأتقنها - كما يقول السيوطي (١) - وهو حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، فإنه أجود وأتقن، فسلم مما في غيره من التعارض.

قال مسلم: حدثنا شيبان بن فروخ. حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال:

«أتيت بالبراق - وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه - قال: فركبته، حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به (٢) الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن. فأخترت اللبن. فقال جبريل: أخترت الفطرة.

ثم عرج بنا إلى السماء. فأستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بآدم. فرحّب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية. فأستفتح جبريل عليه السلام. قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بابني الخالة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما. فرحبّا بي ودعوا لي بخير.

ثم عرج بي إلى السماء الثالثة. فأستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بيوسف (ص)، إذ هو قد أعطي شطر الحسن فرحّب ودعا لي بخير.

---

١ - الآية الكبرى: ٤٥.

٢ - في المرجع السابق (بها) وأيضا في إكمال إكمال المعلم: ١: ٣٠٥، قال النووي: وأما قوله ﷺ (بالحلقة لتي يربط به) فكذا هو في الأصول (به) بضمير المذكر، أعاده على معنى الحلقة، وهو الشيء. قال صاحب التحرير: المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس: مسلم بشرح النووي: ٢: ٢١١.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة. فاستفتح جبريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بإدريس. فرحّب ودعا لي بخير. قال الله عز وجل:

﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ (١).

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة. فأستفتح جبريل. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بهارون ﷺ. فرحّب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة. فأستفتح جبريل عليه السلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بموسى ﷺ. فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا (٢) إلى السماء السابعة. فأستفتح جبريل. فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا. فإذا أنا بإبراهيم ﷺ، مسندا ظهره إلى البيت المعمور. وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم ذهب إلى السدرة المنتهي. وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال. قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرّت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إليّ ما أوحى. ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فنزلت إلى موسى ﷺ. فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك. فسأله التخفيف. فإن أمتك لا يطيقون ذلك.

فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يارب! خفّف على أمتي. فحَطّ عني خمسا. فرجعت إلى موسى فقلت: حطّ عني خمساً. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك. فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يامحمد! إنهن خمس

---

١ - سورة مريم: آية ٥٧.

٢ - زيادة «بنا» من نسخة مسلم بشرح النووي: ٢: ٢١٣.

صلوات كل يوم وليلة. لكل صلاة عشر. فذلك خمسون صلاة. ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة. فإن عملها كتبت له عشرا. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا. فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته. فقال: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى أستحييت منه»[1].

قلت: وقد سلم هذا الحديث من التعارض الذي سيأتي - كما قال السيوطي - ولذا قدمته على غيره في الترتيب، وأيضا ذكر الإسراء إلى بيت المقدس قبل المعراج، ورواه أحمد عن حسن بن موسى، عن حماد، عن ثابت، عن أنس[2]، وفيه أيضا إثبات أن النبي ﷺ أتى بيت المقدس في ليلة المعراج، وبه قال الجمهور.

الحديث الثاني:

يروي الشيخان عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال:

«فُرِجَ[3] عن سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل، فَفَرَج[4] صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست[5] من ذهب ممتلىء حكمه وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ. فقال: أُرسلَ إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسوَدة[6]، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكي، فقال: مرحبا بالنبي الصالح، والابن الصالح. قلت لجبريل: من هَذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله

---

١ - مسلم: ١، الإيمان ٢٥٩ (١٦٢).

٢ - الفتح الرباني: ٢٠: ٢٥١ وما بعدها.

٣ - فُرِج: أي انفتح: فتح الباري: ١: ٤٦٠.

٤ - فَفَرَج: أي شقّ: المرجع السابق.

٥ - إناء من ذهب: المرجع السابق.

٦ - أسودة: كل شخص من إنسان وغيره يسمى سوادا، وجمعه أسودة، انظر المصباح المنير (سود).

نسم[1] بينه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكي.

حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال الأول، ففتح».

قال أنس: فذكر أنه وجد في السماوات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم، صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة.

قال أنس: فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال:

«مرحبا بالنبي الصالح، والأخ الصالح، فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس.

ثم مررت بموسى فقال: مرحباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح. قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى.

ثم مررت بعيسى فقال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى.

ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبا بالنبي الصالح، والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم ﷺ».

قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ:

«ثم عرج بي، حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف[2] الأقلام».

قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال النبي صلي الله علي وسلم:

«ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال:

---

١ - نسم بنيه: النسم بالنون والميم المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح: فتح الباري: ١: ٤٦١

٢ - صريف الأقلام: الصريف: الصوت، وصريف الأقلام: تصويتها حال الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى: فتح الباري: ١: ٤٦٢.

ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت : فرض خمسين صلاة، قال : فأرجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت : وضع شطرها (١) فقال : أرجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال : هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لديّ، فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك، فقلت : أستحييت من ربي.

ثم انطلق بي، حتى أنتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدرى ماهي، ثم أدْخلْت الجنة، فإذا فيها حبايل (٢) اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك» (٣).

الحديث الثالث :

يروى الشيخان وغيرهما عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ :

«بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر يعني رجلا بين الرجلين - فأتيت

---

١ - شطرها : شطر كل شيء، ونصفه، كذا في المصباح المنير، قال ابن المنير، ذكر الشطر في الحديث أعم من كونه وقع في دفعة واحدة، أو المراد بالشطر في حديث الباب : البعض : فتح الباري : ١ : ٤٦٢.

٢ - حبايل اللؤلؤ : قال ابن حجر : كذا وقع لجميع رواة البخاري في هذا الموضع، بالحاء المهملة ثم الموحدة وبعد الألف تحتانية ثم لام، وذكر كثير من الأئمة أنه تصحيف وإنما هو (جنابذ) بالجيم والنون وبعد الألف موحدة ثم ذال معجمة كما وقع عند المصنف في أحاديث الأنبياء من رواية ابن المبارك وغيره عن يونس، وكذا عند غيره من الأئمة، ووجدت في نسخة معتمدة من رواية أبي ذر في هذا الموضع «جنابذ» على الصواب وأظنه من إصلاح بعض الرواة.

وقال ابن حزم في أجوبته على مواضع من البخاري : فتشت على هاتين اللفظتين فلم أجدهما ولا واحدة منهما، ولا وقفت على معناهما ١٠هـ.

وذكر غيره أن الجنابذ شبه القباب، واحدها جنبذة بالضم، وهو ما ارتفع من البناء فهو فارسي معرب، وأصله بلسانهم كنبذة بوزنه، لكن الموحدة مفتوحة والكاف ليست خالصة، ويؤيده ما رواه المصنف في التفسير من طريق شيبان عن قتادة عن أنس قال : لماعرج بالنبي ﷺ قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ ، وقال صاحب المطالع في الحبائل قيل : هي القلائد والعقود أو هي من حبال الرمل، أي فيها لؤلؤ مثل حبال الرمل، جمع حبل، وهو ما استطال من الرمل، وتعقب بأن الحبائل لا تكون إلا جمع حبالة أو حبيلة بوزن عظيمة، وقال بعض من اعتنى بالبخاري : الحبائل جمع حباله، وحبالة جمع حبل على غير قياس، والمراد أن فيها عقوداً وقلائد من اللؤلؤ : فتح الباري : ١ : ٤٦٣ - ٤٦٤.

٣ - البخاري : ٨، الصلاة (٣٤٩)، وانظر : ٦٠، الأنبياء (٣٣٤٢)، ومسلم : ١، الإيمان ٢٦٣ (١٦٣)، وانظر : الفتح الرباني : ٢٠ : ٣٤٩ وما بعدها، فقد رواه عبد الله بن أحمد من زياداته على أبيه، وهو من حديث أبي ابن كعب، ورجاله كما قال الهيثمي رجال الصحيح : مجمع الزوائد : ١ : ٦٥ - ٦٦.

بطست من ذهب ملآن حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق (١) البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم مليء حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض، دون البغل، وفوق الحمار : البراق، فانطلقت مع جبريل، حتى أتينا السماء الدنيا، قيل : من هذا؟ قال جبريل. قيل : من معك؟ قال : محمد. قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم. قيل : مرحباً به. ولنعم المجيء جاء. فأتيت على آدم، فسلمت عليه، فقال : مرحباً بك من ابن ونبيّ.

فأتينا السماء الثانية. قيل : من هذا؟ قال : جبريل. قيل : من معك؟ قال : محمد ﷺ، قيل : أرسل إليه؟ قال : نعم. قيل : مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على عيسى ويحيى. فقال : مرحباً بك من أخ ونبيّ.

فأتينا السماء الثالثة. قيل : من هذا؟ قيل : جبريل : قيل : من معك؟ قال : محمد. قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم. قيل : مرحبا به، ولنعم المجيء جاء. فأتيت علي يوسف فسلمت. فقال : مرحبا بك من أخ ونبيّ.

فأتينا السماء الرابعة. قيل : من هذا؟ قال : جبريل. قيل من معك؟ قيل : محمد ﷺ. قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم. قيل : مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. فأتيت على إدريس، فسلمت عليه، فقال : مرحباً بك أخ ونبيّ.

فأتينا السماء الخامسة : قيل : من هذا؟ قيل : جبريل. قيل : ومن معك؟ قيل : محمد. قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم. قيل : مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. فأتينا على هارون، فسلمت عليه. فقال : مرحباً بك من أخ ونبيّ.

فأتينا على السماء السادسة. قيل : من هذا؟ قيل : جبريل. قيل : من معك؟ قيل : محمد ﷺ. قيل : وقد أرسل إليه؟ مرحباً به، نعم المجيء جاء. فأتيت على موسى، فسلمت عليه. فقال : مرحباً بك من أخ ونبيّ، فلما جاوزت بكى، فقيل، ما أبكاك؟ قال : يا رب! هذا الغلام الذي بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

فأتينا السماء السابعة : قيل : من هذا؟ قيل : جبريل. قيل : من معك؟ قيل :

---

١ - مراق البطن : بفتح الميم وتشديد القاف : مارق منه ولان، ولا واحد له من لفظه : الصحاح (رقق).

محمد. قيل : وقد أرسل إليه؟ مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. فأتيت على إبراهيم، فسلمت عليه. فقال : مرحباً بك من ابن ونبيّ.

فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

ورفعت لي سدرة المنتهي، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان، ونهران ظاهران. فسألت جبريل. فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات.

ثم فرضت عليّ خمسون صلاة. فأقبلت حتى جئت موسى. فقال : ما صنعت؟ قلت : فرضت عليّ خمسون صلاة. قال : أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق، فأرجع إلى ربك فسله. فرجعت فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله، فجعل عشرين، ثم مثله، فجعل عشراً.

فأتيت موسى، فقال مثله، فجعلها خمساً، فأتيت موسى، فقال : ما صنعت؟ قلت : جعلها خمساً. فقال مثله. قلت فسلمت. فنودي: إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشراً» (١).

الحكمة في اختصاص كل نبي بسماء :

وأما عن الحكمة في اختصاص كل نبي بالسماء التي التقاه بها، فقد اختلف في ذلك - كما يقول ابن حجر (٢) - فقيل : ليظهر تفاضلهم بالدرجات، وقيل : لمناسبة تتعلق بالحكمة في الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الأنبياء، فقيل : أمروا بملاقاته، فمنهم من أدركه في أول وهلة، ومنهم من تأخر فلحق، ومنهم من فاته، وهذا زيفه السهيلي فأصاب، وقيل : الحكمة في الاقتصار على هؤلاء المذكورين للإشارة إلى ما سيقع له ﷺ مع قومه، من نظير ما وقع لكل منهم :

---

١ - البخاري : ٥٩، بدء الخلق (٣٢٠٧)، وانظر : ٦٣، مناقب الأنصار (٣٨٨٧)، ومسلم : ١، الإيمان ٢٦٤ (١٦٤)، وأحمد : ٤ : ٢٠٧ وما بعدها، الفتح الرباني : ٢٠ : ٢٤٤ وما بعدها، النسائي : ١ : ٢١٧ - ٢١٨، والترمذي مختصراً : ٤٨، تفسير القرآن (٣٣٤٦).

٢ - فتح الباري : ٧ : ٢١٠ - ٢١١ بتصرف.

فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع لـه من الخروج من الجنـة إلى الأرض، بما سيقع للنبي ﷺ من الهجرة إلى المدينة، والجامع ما حصل لكل منهما من المشقة، وكراهة فراق مـا ألفه من الوطن، ثم كان مآل كل منهما أن يرجع إلى موطنه الذي أخرج منه.

وبعيسى ويحيى على مـا وقع لـه من أول الهجـرة من عـداوة اليهـود وتماديهم على البغي عليه، وإرادتهم وصول السوء إليه.

وبيوسف على ما وقع لـه من قـريش في نصبهم الحرب لـه، ولإرادتهم هـلاكـه، وكانت العاقبة له..

وبإدريس على رفيع منزلته عند الله.

وبهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه.

وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه..

وبإبراهيم في استناده إلى البيت المعمور بما ختم لـه ﷺ في آخـر حيـاتـه من إقـامـة منسك الحج، وتعظيم البيت.

قـال ابن حجـر: وهـذه مناسـبات لطيفـة أبداها السهيـلي، فأوردتهـا منقحـة ملخصة[1].

وقال ابن أبي جمرة: الحكمة في كون آدم في السماء الدنيا لأنـه أول الأنبيـاء، وأول الآباء، وهو أصل، فكان أولاً في الأولى، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة.

وعيسى في الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهداً من محمد.

ويليه يوسف لأن أمة محمد تدخل الجنة على صورته.

وإدريس في الرابعة لقوله تعالى:

﴿ورفعناه مكانا عليا﴾[2].

والرابعة من السبع وسط معتدل.

وهارون لقربه من أخيه موسى.

١- انظر: الروض الأنف: ٢: ١٥٧-١٥٨.

٢- سورة مريم: آية ٥٧.

وموسى أرى منه لفضل كلام الله.

وإبراهيم لأنه ا ب الأخير، فناسب أن يتجدد للنبي ﷺ بلقيه أنس، لتوجهه بعده إلى عالم آخر، و أ فمنزلة الخليل تقتضي أن تكون أرفع المنازل.

ومنزلة الحبيب أرف منزلته، فلذلك ارتفع النبي ﷺ عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين أو أدنى.

صلاة النبي ﷺ وسلم بالأنبياء في بيت المقدس:

يروي أحمد والترمذي وغيرهما بسند حسن عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال:

«أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فلم نزايل (١) ظهره أنا وجبريل، حتى أتيت بيت المقدس، ففتحت لنا أبواب السماء» ورأيت الجنة والنار».

قال حذيفة بن اليمان: ولم يصل في بيت المقدس، قال زر: فقلت له: بلى قد صلى، قال حذيفة: ما أسمك يا أصلع؟ فإني أعرف وجهك، ولا أعرف أسمك، فقلت: أنا زر بن حبيش، قال: وما يدريك أنه صلى؟ قال فقلت: يقول الله عز وجل:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ (٢).

قال: فهل تجده صلى؟ لو صلى لصليتم فيه، كما تصلون في المسجد الحرام، قال زر: وربط الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عليهم السلام، قال حذيفة: أو كان يخاف أن تذهب منه وقد آتاه الله بها؟ (٣).

---

١ - يقال: زايله مزايلة وزيالا: فارقه. المعجم الوسيط: (زيل).

٢ - سورة الإسراء: آية ١.

٣ - أحمد: ٥: ٣٩٢، ٣٩٤ واللفظ له، والترمذي: ٤٨ - تفسير القرآن (٣١٤٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والمستدرك: ٢: ٣٥٩ وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأبو داود الطيالسي: منحة المعبود: ٢: ٩١ (٢٣٣١).

وفي رواية لأحمد عنه عن حذيفة رضي الله عنه، وهو يحدث عن ليلة أسرى بمحمد ﷺ . . إلى أن قال : دخله رسول الله ﷺ ليلتئذ وصلى فيه . الحديث [1] .

قال ابن كثير : وهذا الذي قاله حذيفة نفي، وما أثبته غيره من الصلاة في بيت المقدس وربط الدابة بالحلقة مقدم عليه [2] .

وحذيفة رضي الله تعالى عنه يحكي ما بلغه، وقد ثبت عند غيره من الصحابة - كما سبق في حديث مسلم وأحمد عن أنس - أن النبي ﷺ في بيت المقدس، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ [3] .

وقد جاء في رواية لأحمد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

ليلة أسرى بنبيّ الله ﷺ، ودخل الجنة، فسمع من جانبها وجسا (٤) ، قال : ياجبريل، ما هذا؟ قال : هذا بلال المؤذن، فقال نبي الله ﷺ حين جاء إلى الناس : قد أفلح بلال، لقد رأيت له كذا وكذا (٥) ، قال : فلقيه موسى ﷺ فرحب به، وقال : مرحباً بالنبي الأمي، قال : فقال وهو رجل آدم (٦) ، طويل سبط شعره مع أذنيه (٧) ، أو فوقهما، فقال : من هذا يا جبريل؟ قال : هذا موسى عليه السلام، قال : فمضى حتى لقيه عيسى، فرحب به، وقال : من هذا ياجبريل؟ قال : هذا عيسى، قال : فمضى فلقيه شيخ جليل مهيب، فرحب به، وسلم عليه، وكلهم يسلم عليه، قال : من هذا ياجبريل؟ قال : هذا أبوك إبراهيم، قال : فنظر في النار، فإذا قوم يأكلون الجيف، فقال : من هؤلاء ياجبريل؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، (٨) ورأى رجلا أحمر أزرق (٩) ، جعداً شعثاً إذا رأيته، قال : من هذا

---

١ - الفتح الرباني : ٢٠ : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

٢ - الآية الكبرى : ١٠٠ .

٣ - الفتح الرباني : ٢٠ : ٢٥٤ .

٤ - الوجس : بفتح الواو وسكون الجيم : الصوت الخفي : المعجم الوسيط (وجس) .

٥ - فيه منقبة عظيمة لبلال رضي الله عنه .

٦ - أي أسمر، وقوله : (سبط) بفتح السين المهملة وسكون الموحدة : وهو الشعر المنبسط المسترسل : لسان العرب (سبط) .

٧ - أي محاذياً لأذنيه أو فوقهما بشيء يسير .

٨ - أي الذين يغتابون الناس، قال تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ سورة الحجرات : آية ١٢ .

٩ - الظاهر أزرق العينين (جعدا) قال في النهاية : الجعد في صفات الرجال يكون مدحا وذما . . والمراد هنا : الثاني .

يا جبريل؟ قال هذا عاقر الناقة [1] قال : فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي، فالتفت ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه، فلما أنصرف جيء بقدحين : أحدهما عن اليمين، والآخر عن الشمال، في أحدهما لبن، وفي الآخر عسل، فأخذ اللبن فشرب منه، فقال الذي كان معه القدح : لقد أصبت الفطرة [2].

وقد جاء ذلك صريحا في رواية مسلم عن أبي هريرة مرفوعا - كما سيأتي وفيه «فحانت الصلاة فأممتهم» الحديث [3].

حكمة اجتماع الأنبياء في الصلاة :

وانطلاقاً من ضروة الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وفق ما جاء صريحا في الكتاب والسنة، ومن اجتماع الأنبياء في الصلاة - كما عرفنا - نبصر وجها من وجوه الحكمة في كون معجزة الإسراء والمعراج تبدأ من المسجد الحرام، أول بيت وضع للناس في مكة، إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العلى، وفي هذا ربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، إلى محمد خاتم النبيين ﷺ، وربط - كذلك - بين الأماكن المقدسة لرسالات الرسل جميعاً، ومن هنا نبصر الدعوة تمتد زمانا ومكانا، ونبصر التكامل الانساني في رحاب هذه المعجزة، في صورة اجتماع الأنبياء في صلاة واحدة، والصلاة في حقيقتها صلة بالله وتوجه إليه بالجنان واللسان والحركة، كما نبصر توجيها إلى الانسانية عبر آباد الزمان وأبعاد المكان أن تكون على طريق واحد، هو طريق الخير للجميع، بيد أن الواقع الانساني يندى له الجبين، والبشرية مازالت تتعثر وتتعثر!

كما نصبر الألوان في أحاديث الإسراء والمعراج تتساقط دونها حواجز اللون والتفرقة العنصرية، تلك التي مازالت تعاني منها المجتمعات التي قطعت مراحل ومراحل من التقدم المادي، بينما ظلت في طفولة عقلية إزاء الألوان والأجناس!

---

١ - المراد ناقة نبي الله صالح عليه السلام.

٢ - المرجع السابق : ٢٥٤ - ٢٥٥ وأحمد : (٢٣٢٤) تحقيق أحمد شاكر، وأورده ابن كثير وعزاه لأحمد، وصحح إسناده، وقال : لم يخرجوه.

٣ - مسلم : ١، الإيمان ٢٧٨ (١٧٢).

بين الرسول ﷺ وقريش :

وحدّث الرسول ﷺ الناس بما حدَث، فقد روى أحمد وغيره بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسرى بي، وأصبحت بمكة، فظعت[1] بأمري، وعرفت أن الناس مكذبيّ».

فقعد معتزلا حزينا، قال: فمر عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزيء: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم» قال: ما هو؟ قال: «إنه أسرى بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس» قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ (٢) قال: «نعم» قال: فلم يُر (٣) أنه يكذبه، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه! قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فقال: هيّا معشر بني كعب بن لؤي، قال: فأنتفضت (٤) إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما،

قال: حدّث قومك بما حدّثتني، فقال رسول الله ﷺ: «إنه أسرى بي الليلة» قالوا: إلى أين؟ قلت: «إلى بيت المقدس» قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم» قال: فمن بين مصفّق، ومن بين واضع يده على رأسه، متعجبا للكذب زعم!، قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «فذهبت أنعت، فما زلت أنعت، حتى التبس (٥) عليّ بعض النعت» قال: «فجيء بالمسجد وأنا أنظر، حتى وضع دون دار

---

١ - بكسر الظاء المعجمة، وسكون العين المهملة: أي اشتد على وهبته: الفتح الرباني: ٢٠ : ٢٦٢، وفي مجمع الزوائد : ١ : ٦٤ (فضعت) قال: وفي زوائد البزار: (ففظعت) هكذا وجدته فيها بخطه، وأورده في النهاية بالظاء فقال فيه: (فظعت بأمري) أي اشتد عليّ وهبته. ففي إيراد المصنف له بالضاد في المجمع نظر، ولكنه أورده في الزوائد بالظاء بخطه، ولم أر هذه اللفظة في زوائد الكبير والصغير والوسط - كما في هامش الأصل.

٢ - بفتح النوم، قال ابن فارس: ولا تكسر، وقال جماعة: الألف والنون زائدتان للتأكيد، وبين ظهرانيهم وبين أظهرهم كلها بمعنى بينهم، وفائدة إدخاله في الكلام أن إقامته بينهم على سبيل الاستظهار والاستناد إليهم، وكأن المعنى أن ظهرا منهم قدامه وظهرا وراءه فكأنه مكنوف من جانبيه، هذا أصله، ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم، وإن كان غير مكنوف بينهم: الفتح الرباني: ٢٠ : ٢٦٣، وأنظر: أحمد: ٤ : ٢٩٣ - ٢٩٤ (٢٨٢٠) ففيه قول ابن الأثير، وهو قريب من هذا.

٣ - (يُر) بضم الياء التحتية، وكسر الراء: أي لم يظهر.

٤ - أي تركوا مجالسهم، وحضروا إلى النبي ﷺ، ومعه أبو جهل.

٥ - بفتح الموحدة: أي اختلط واشتبه: المعجم الوسيط (لبس).

عقال أو عقيل، فنعته وأنا أنظر إليه» (١) قال: «وكان مع هذا نعت لم أحفظه» قال: فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب (٢).

وفي رواية لأحمد بسند صحيح عنه أيضاً قال: أسرى بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته، فحدثهم بمسيره، وبعلامة بيت المقدس، وبعيرهم (٣) فقال ناس، قال حسن: (٤) نحن نصدق محمدا بما يقول؟ فأرتدوا كفارا، فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل، وقال أبوجهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم؟ (٥) هاتوا تمرا وزبدا فتزقموا (٦)؟!

ورأى الدجال في صورته رؤيا عين، ليس رؤيا منام (٧)، وعيسى وموسى وإبراهيم، صلوات الله عليهم.. الحديث (٨).

ويروي الشيخان وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

---

١ - فيه معجزة للنبي ﷺ.

٢ - أحمد: ١: ٣٠٩ وبهامشه: منتخب كنز العمال، ٤: ٢٩٣ - ٢٩٥ (٢٨٢٠) تحقيق أحمد شاكر، قال في مجمع الزوائد: ١: ٦٥ رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح، ونسبه السيوطي في الدر المنثور: ٤: ١٥٥ أيضا لابن أبي شيبة، وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل، والضياء في المختارة، وابن عساكر، بسند صحيح.

٣ - العير: ما جلب عليه الطعام من قوافل الإبل، والبغال والحمير: المعجم الوسيط (عير).

٤ - قوله: (قال حسن) ليس في الفتح الرباني: ٢٠: ٢٦٣.

٥ - شجرة الزقوم هي طعام أهل النار، قال تعالى: (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم. كالمهل يغلي في البطون. كغلي الحميم) سورة الدخان: آية ٤٣ - ٤٦ وقال جل شأنه: (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طلعها كأنه رؤوس الشياطين. فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) سورة الصافات: آية ٦٤ - ٦٦.

٦ - فتزقموا: يقال زقم الخبز ونحوه زقماً: لقمه وبلعه، وتزقم الخبز ونحوه: ابتلعه، والزقوم: كل طعام يقتل: المعجم الوسيط (زقم).

٧ - هذا مما يثبت أن الإسراء كان يقظة لا مناماً.

٨ - أحمد: ٥: ١٨٢ (٣٥٤٦) وإسناده صحيح، وفي مجمع الزوائد: ١: ٦٦ - ٦٧ إلى قوله (فتزقموا) ثم قال: فذكر الحديث، رواه أحمد ورجاله ثقات، إلا أن هلال ابن خباب، قال يحيى القطان: إنه تغير قبل موته، وقال يحيى بن معين: لم يختلط، ثقة مأمون، ثم ذكر باقي الحديث، ونسبه لأبي يعلى فقط، قال الشيخ أحمد شاكر: فلا أدري لم صنع هذا؟ وفي الفتح الرباني: ٢٠: ٢٦٤، هكذا جاء في مجمع الزوائد، ذكر أقل من نصف الحديث، وعزاه لأحمد، ثم جعل باقي الحديث زيادة عند أبي يعلى، مع أن الحديث جميعه في مسند أحمد، فلا ندري لم فعل ذلك؟.

«لما كذبتني قريش قمت إلى الحجر (١) ، فجلى (٢) لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه» (٣).

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها (٤) ، فكربت (٥) كربة ما كربت مثله (٦) قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب (٧) جعد (٨) كأنه من رجال شنؤة، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يامحمد! هذامالك صاحب النار، فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام» (٩).

---

١ - الحجر: ما حواه الحطيم، وهو جانب الكعبة من جهة الشمال: المعجم الوسيط (حجر).

٢ - جلى: كشف: المعجم الوسيط (جلى).

٣ - البخاري: ٦٣ - مناقب الأنصار (٣٨٨٦)، ٦٥ - التفسير (٤٧١٠) ومسلم: ١، الإيمان ٢٧٦ (١٧٠)، والترمذي: ٤٨ - التفسير (٣١٣٣).

٤ - أي لم أحفظها، لاشتغالي بأهم منها.

٥ - كربت كربة: اشتد عليّ الأمر: المعجم الوسيط، ومختار الصحاح: (كرب).

٦ - الضمير في مثله يعود على معنى الكربة.

٧ - رجل ضرب: خفيف اللحم ممشوق القد: المعجم الوسيط مادة (ضرب).

٨ - جعد الشعر: إذا كان فيه التواء وتقبض: المصباح المنير، والمعجم الوسيط (جعد).

٩ - مسلم: ١، الإيمان ٢٧٨ (١٧٢).

الفصل الثاني
حقيقة المعجزة وتاريخها

تمهيد :

بعد أن عرضنا - إجمالاً لأهم الأدلة نبصر دعوة من خلالها تنادي المسلم وتدعوه أن يتحرك ويرتفع، فالإسراء لم يكن لغير محمد ﷺ، والمعراج كذلك، والمسلم من أتباع هذا النبي الذي أسرى الله به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في لحظات، وعرج به إلى السماوات العلا في لمحات، إلى أن جاوز مرتبة وقفت عندها الخواطر والأماني، ومن ثم يتحرك المؤمن في طريق الصعود، فقد عبّد الرسول طريق الحق، وذلك سبيل الهدى، وتحمل ما تحمل، وتحمل أصحابه كذلك ماتحملوا، وقد فتحت هذه المعجزة عوالم، وقدمت معالم، وأبصرتنا آفاق المجد واسعة . .

وهنا نبصر المسلم الصادق لا يختص بأرض دون أرض، ولا يحده مكان دون مكان، فهو كالشمس تشرق لتضيء الدنيا كلها، ومكانها في العلياء، ونبصره يتحرك لتبليغ دعو ة الله إلى خلق الله، عسى أن يفتح الله به قلوباً غلفاً (١)، وآذاناً صماً، وأعيناً عمياً.

ونبصر معالم الطريق واضحة أمام النفوس الشامخة، والهمم العالية، ليرتفعوا إلى مرتبة السمو والعلو.

وإذا ما كانت المعجزة عوضا عن جفوة الأرض وفقد النصير، فإن مطلع السورة - كما أسلفنا - يبصرنا بالتنزيه والتقديس، وختامها يدعونا إلى الحمد، ووسط البدء والختام نقرأ عقب دعاوي المشركين عن الآلهة :

﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً. تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ (٢) .

---

١ - أي لم تع الرشد، كأن على القلب غلافا فهو أغلف : المعجم الوسيط (غلف).

٢ - سورة الإسراء : آية ٤٣ - ٤٤ .

ونبصر كل شيء، يتوجه إلى الله، فإذا الكون كله حركة وحياة، وإذا الوجود كله تسبيحة شجية ندية، تنبض بها كل ذرة في هذا الكون، وتنتقض تسبح الله، وترتفع في جلال وكمال إلى الخالق جل شأنه . .

وإنه لمشهد كوني فريد، حين يتصور المؤمن كل شيء يسبح بحمد الله . . وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر تلك الحقيقة في كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه .

وحين تشف الروح وتصفو تدرك سرا من أسرار هذا الوجود . .

ونبصر مطلع السورة ووسطها وختامها يتسق مع جو الإسراء اللطيف، والرحلة من المسجد الحرام - أول بيت وضع للناس - إلى المسجد الأقصى، وهي تربط عقيدة التوحيد في موكب الأنبياء والأماكن المقدسة .

ونبصر إعلان وراثة خاتم النبيين لمقدسات الرسل قلبه، وبخاصة - كما أسلفنا - في صلاة الأنبياء خلفه .

حقاً، إنها آية تتخطي حدود الزمان والمكان، القريب والبعيد، وتشمل آماداً وآفاقاً أوسع من الزمان والمكان في القريب والبعيد، وإنها آية تصاحبها آيات : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾ .

ونبصر اتجاهاً إلى الهدف الواحد الذي بعث الله النبيين لدعوة الناس إليه، وسجوداً لله الذي كرم الانسان، ووقوفا وراء خاتم النبيين الذي جاء ليتمم البناء، ويضع اللبنة المحكمة الأخيرة فيه . .

وفي سبحات من الجلال والجمال والكمال، وفضاء لا يعلم مداه إلا الله، نبصر المعراج إلى مستوى لم يكن لغير خاتم النبيين .

ونبصر تشويقاً للمسلم، ليصعد معارج الكمال، وليلقى كل صعب، ويرقى كل مركب خطر .

وفي هذا نداء قوي يهز أعطاف المؤمن هزاً، ويهمس في أذنه : لست مجرد إنسان في هذه الحياة! لست مجرد كائن في هذا الوجود! فلك روح دونها كل روح لا تؤمن بالله، ولك همة عالية دونها قمم الجبال، وقد خلقت لتحلّق دائماً، ولتعلوا دائماً،

ولتصعد دائماً.

ومن ثم يعرج بروحه، ويسمو بفكره، ويتحرك في طريق الصعود..

وهنا نبصر الانسانية خلفا صالحا لسلف صالح يحمل الراية، ويؤمن بالرسل.. ويمثل الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعا، وبين الرسل جميعا..

وتلك هي قاعدة التصور الإيماني التي تجعل من هذه الأمة المسلمة الأمة الوارثة لتراث العقيدة الحقة، الموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة في طريق الحق، على هدى ونور، وفي الوقت ذاته تقدم هذه الحقيقة التي تبصرها الإنسانية في حياة المسلمين، وفي عرض الدعوة على الناس، فتلك رسالتنا، وتلك مسئوليتنا، وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها، وتعرف مكانتها، وأنها خير أمة أخرجت للناس، وتعرف أنها أخرجت لتكون لها القيادة..

حقيقة المعجزة :

ويأتي الحديث عن حقيقة المعجزة، حيث اختلفوا في حقيقة الإسراء والمعراج اختلافاً كثيراً، وكلمة «حقيقة» اقتبستها من قول السيوطي تحت عنوان : «في حقيقته (١)» - أي الإسراء والمعراج - هل كانا في ليلة واحدة أم لا؟

وأيهما كان قبل الآخر؟ وهل كان في اليقظة أو المنام، أو بعضه في اليقظة وبعضه في المنام؟ وهل كان مرة أو مرتين أو مرات؟

القول الأول :

وهو قول الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين : أنهما وقعا في ليلة واحدة في اليقظة.

وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، وفي المقدمة قوله تعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ (٢).

لأن التسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء،

---

١ - الآية الكبرى : ١٠٥.

٢ - سورة الإسراء : آية ١.

ولما بادرت قريش إلى إنكاره، ولما ارتدوا كفارا - كما أسلفنا - ولأن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ولو كان مناما لم يقل (بعبده) بل «بروح عبده».

قال ابن حجر (١) : ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله، حتى يحتاج إلى تأويل.

قال السيوطي (٢) : ولأنه حمل على البراق، والروح لا تحمل، وإنما يحمل البدن.

وقال ابن القيم: أسرى برسول الله ﷺ بجسده على الصحيح، من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبا على البراق، صحبه جبريل عليهما الصلاة والسلام(٣) . .

وفي شرح المواهب اللدنية قال الرازي (٤) : قال أهل التحقيق : الذي يدل على أنه تعالى أسرى بروح سيدنا محمد ﷺ وجسده - معا يقظة - من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر :

أما القرآن فهو قوله تعالى :

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾.

وتقرير الدليل أن العبد اسم للجسد والروح، فواجب أن يكون الإسراء حاصلا بجميع الجسد والروح، ويدل عليه قوله تعالى :

﴿أرأيت الذي ينهى. عبداً إذا صلى﴾(٥) .

ولاشك أن المراد هنا مجموع الجسد والروح، لأن العبد هنا محمد ﷺ، والناهي له عن الصلاة أبو جهل، وهو لا ينهاه عن الصلاة بروحه.

وأيضا قال سبحانه وتعالى في سورة الجن :

﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾(٦) .

---

١ - فتح الباري : ٧ : ١٩٧ .
٢ - الآية الكبرى : ١٠٥ .
٣ - زاد المعاد : ٣ : ٣٤.
٤ - شرح المواهب اللدنية : ٦ : ٧ بتصرف.
٥ - سورة العلق : آية ٩ - ١٠ .
٦ - سورة الجن : آية ١٩ .

والمراد - في تينك الآيتين - جميع الروح والجسد، وكذلك ها هنا في قوله : ﴿أسرى بعبده ليلاً﴾ إذ الآيات تحمل على نظيرها.

وأما الخبر فأشار إليه بقوله :

وأحتجوا أيضاً بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام «أسرى بي» لأن الأصل في الأفعال أن تحمل على اليقظة، حتى يدل دليل على خلافه، عقلي أو شرعي.

قال عياض وتبعه غيره: الحق والصحيح أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وتدل عليه الآية نصا، وصحيح الأخبار إلى السماوات أستفاضه، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده حال يقظته استحالة تؤذن بتأويل، إذ لو كان مناما لقال «بروح عبده» ولم يقل (بعبده).

وقوله :

﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾[1].

أي ما عدل عن رؤية ما أمر به من عجائب الملكوت وما جاوزها، لصراحة ظاهره في أنه بجسده يقظة، لأنه أضاف الأمر إلى البصر، وهو لا يكون إلا يقظة بجسده، بشهادة :

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[2].

ولو كان مناماً لما كانت فيه آية، ولا معجزة خارقة للعادة دالة على صدقه، وإن كانت رؤيا الأنبياء وحيا، إذ ليس لها من الأبلغية وخرق العادة ما فيه يقظة، على أن ذلك إنما يعرفه من صدقه وصدق خبره.

وإن ذلك لو كان مناماً لما كان فيه فتنة للضعفاء الذين ارتدوا فوقعوا في بلية عظيمة توقعهم في العذاب - كما أسلفنا - لردتهم وتكذيبهم وإنكارهم لخبر الصادق بما هو خارق للعادة، ولا استبعده الأغبياء ولا كذبوه فيه، لأن مثل هذا من المنامات لا ينكر، بل لم يكن منهم ذلك إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن إسرائه بجسده وحال يقظته، ولأن الدواب لا تحمل الأرواح، وإنما تحمل الأجسام.

---

١ - سورة النجم : آية ١٧.

٢ - سورة النجم : آية ١٨.

وقد تواترت الأخبار بأنه أسرى به على البراق، وهو دابة، فوجب كونه بالجسد والروح معاً[1].

القول الثاني :

وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان بروحه في المنام[2]، قال ابن إسحاق[3]: حدثني بعض آل أبي بكر: أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.

وقال: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤياً من الله تعالى صادقة.

وفي شرح المواهب أن الشامي نقل في قول عائشة: [4] (ما فُقِدَ) بالبناء للمفعول، و(ما فَقَدْتُ) بالبناء للفاعل، وإسناده الفعل لتاء المتكلم، وقد حكاهما في الشفاء روايتين: فقال أولاً، وأما قول عائشة (ما فُقِدَ جسده) فهي لم تحدث عن مشاهدة. الخ.. ثم قال: وأيضاً قد روى حديث عائشة (ما فَقَدْتُ) بالبناء للفاعل، قال: ولم يدخل بها النبي ﷺ إلا بالمدينة!

وكل هذا يوهنه، بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده الشريف لإنكارها - كما سيأتي - رؤيته لربه رؤية عين، ولو كانت عندها مناما لم تنكره، وحديثها هذا ليس بالثابت عنها ا. هـ، يعني لما في متنه من العلة القادحة، وفي سنده من انقطاع، وراو مجهول!

وقال ابن دحية في التنوير: إنه حديث موضوع عليها، وقال في معراجه الصغير: قال إمام الشافعية أبو العباس بن سريج: هذا حديث لا يصح، وإنما وضع رداً للحديث الصحيح!

وأجيب على تقدير صحته بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة، لأنها لم تكن إذ ذاك

---

١ - وانظر ما أخرجه أبو نعيم كما في: الآية الكبرى: ١٠٥ - ١٠٦.

٢ - الآية الكبرى: ١٠٦.

٣ - الروض الأنف: ٢: ١٤٣.

٤ - شرح المواهب اللدنية: ٦: ٤ - ٥ بتصرف.

زوجاً، ولا في سن من يضبط - لأنها سنة الهجرة كانت بنت ثمان سنين - أو لم تكن وُلدَتْ بعد، على الخلاف في الإسراء متى كان - كما سيأتي - فعلى أنه كان بعد المبعث بعَام لمن تكن وُلدَتْ، وعلى أنه قبل الهجرة بعام تكون ابنة سبع، وعلى أنه قبلها بأكثر تكون أصغَر من سبع.

قال عياض: وإذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على أنها حدثت بذلك عن غيرها، فلم يرجح خبرها على خبر غيرها.

وكان الظاهر أن يقول: فرجح خبر غيرها على خبرها: أي لعدم ثبوته عنها، كما أفصح به.

وقال التفتازاني في الجواب على تقدير الصحة: أي ما فقد جسده عن الروح، بل كان مع روحه، وكان المعراج للجسد والروح جميعا.

وهو جواب حسن، على ما فيه من كونه خلاف المتبادر من اللفظ.

قال السيوطي: فلم يرجح خبرها، مع قول أم هانىء بخلافه [1].

قلت: وأما حديث معاوية ففيه يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، وإن كان ثقة كما قال ابن معين وغيره [2]، فقد مات سنة ١٢٨ بينما معاوية رضي الله عنه توفى سنة ٦٠ [3] فالحجة منقطعة، لأنه لم يدرك معاوية.

ومع هذا فقد قال ابن القيم قولا حسنا فليراجعه من شاء [4].

القول الثالث:

بالجسد يقظة إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح، [5] واستدلوا بآية الإسراء، وقالوا: جعل المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب به من الكفار تعجب استحالة، ومن المؤمنين تعجب تعظيم، لتعظيم قدرة الله الباهرة، والتمدح

---

١ - الآية الكبرى: ١٠٨.

٢ - تهذيب التهذيب: ١١: ٣٩٢ (٧٥٥).

٣ - الاصابة: ٦: ١١٤.

٤ - زاد المعاد: ٣: ٤٠ - ٤١.

٥ - شرح المواهب اللدنية: ٦: ٥ بتصرف.

بتشريف النبي ﷺ، وإظهار الكرامة له بالإسراء، ولو كان الإسراء بجسده إلى مكان زائد عن المسجد الأقصى لذكره، فيكون أبلغ في المدح، فلما لم يقع ذكر المعراج في هذا الموضع مع كون شأنه أعجب، وأمره أغرب بكثير من الإسراء، دل على أنه كان مناما، وأما الإسراء فلو كان مناما لما كذبوه ولا أستنكروه..

وأجيب كما ذكر ابن المنير بأن حكمة التخصيص بالمسجد الأقصى سؤال قريش له على سبيل الامتحان، على ما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس، وقد علموا أنه لم يسافر إليه فيجيبهم بما عاين - كما سبق - ويوافق ما يعلمونه، فتقوم الحجة عليهم، وكذلك وقع، ولهذا لم يسألوه عما رآى في السماء، ولا عهد لهم بذلك.. كما أجاب الأئمة عن ذلك بأنه استدرجهم إلى الإيمان بذكر الإسراء، فلما ظهرت أمارات صدقه، ووضحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك الآية، أخبرهم بما هو أعظم منها، وهو المعراج، فحدثهم به، وأنزل الله في سورة النجم.

قال ابن حجر : ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء (١) في ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس عند مسلم - الحديث الأول الذي سبق - ففي أوله: (أتيت بالبراق) إلى أن قال : «فركبته، حتى أتيت بيت المقدس» فذكر القصة إلى أن قال : «ثم عرج بنا إلى السماء».

وقيل (٢) : إن المعراج وقع مرتين : مرة في المنام، على انفراده توطئة، ومرة في اليقظة مضموناً إلى الإسراء.

قلت : والأخير هو الراجح المذكور في القول الأول..

تلك هي الأقوال المشهورة، وهناك أقوال أخرى نتحدث عنها في الفصل الثالث، لما تفرضه منهجية البحث في الرد على الشبهات.

قول باطل :

ومع هذا فقد قال الدكتور هيكل (٣) بعد أن قدم قول القائلين بأ ن الإسراء

---

١ - فتح الباري : ٧ : ١٩٨ وفي المرجع السابق (ويؤيد وقوع الإسراء عقب المعراج) وهو خطأ ظاهر!

٢ - الآية الكبرى : ١٠٩.

٣ - حياة محمد : ١٨٩ وما بعدها بتصرف.

والمعراج إنما كانا بروح محمد عليه السلام. وفي رأي آخرين أن الإسراء من مكة إلى بيت المقدس كان بالجسد.. قال: ويذهب غير هؤلاء وأولئك إلى أن الإسراء والمعراج كانا جميعا بالجسد..

قلت: وسبق بيان قول الجمهور في هذا.

وقال: ولنا في حكمة الإسراء رأي نبديه، ولسنا ندري أسبقنا إليه أم لم نسبق، لكنا قبل أن نبدي هذا الرأي، بل لكي نبديه، يجب أن نروي قصة الإسراء والمعراج على نحو ما جاءت به كتب السيرة.. وذكر تصوير المستشرق درمنجم للاسراء قائلا: سرد المستشرق درمنجم هذه القصة مستخلصة من مختلف كتب السيرة في عبارة طلية رائعة، هذه ترجمتها. ثم قال: وأنت تقع على ما قصة منثورا في كثير من كتب السيرة، وإن كنت تجد فيها جميعاً خلافاً بزيادة أو نقص في بعض نواحيها!

قلت: لا أدري كيف ينقل عن المستشرق قصة الإسراء والمعراج، ولا يذكر الأحاديث الواردة، مع أنه اعترف بأن في تصوير درمنجم خلافا بزيادة أو نقص!

أما عن هذا الرأي الذي أبداه، فقد أشار إليه بعنوان:

الإسراء ووحدة الوجود:

وقال: فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود، بالغة غاية كمالها. لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسة والمدبرة والعاقلة. تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد، واجتمع الكون كله في روحه، فوعاه منذ أزله إلى أبده..!

قلت: قوله: ولسنا ندري أسبقنا إليه أم لن نسبق، مردود عليه، لأن القول بوحدة الوجود قديم، وانتقل إلى بعض الصوفية، مما يطول الحديث فيه!

وأما رد هذا القول فقد سبق ذلك في القول الأول.

وقت المعجزة :

وأما عن الوقت فقد قال ابن حجر : (١) اختلفت في وقت المعراج، فقيل : كان قبل المبعث، وهو شاذ، إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ في المنام.

قلت : وسيأتي بيان ذلك في رد الشبهة الأولى في الفصل الثالث.

قال : وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث. ثم أختلفوا، فقيل : قبل الهجرة بسنة، قاله ابن سعد (٢) وغيره، وبه حزم النووي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود، فإن في ذلك اختلافا كثيرا يزيد على عشرة أقوال.

قلت : وسيأتي مزيد بيان في الرد على ما ذهب إليه ابن حزم في رد الشبهة الثانية في الفصل الثالث.

قال : منها ما حكاه ابن الجوزي أنه كان قبلها بثمانية أشهر، وقيل : بستة أشهر، وحكى هذا الثاني أبو الربيع بن سالم (٣) . وحكى ابن حزم مقتضي الذي قبله، لأنه قال : كان في رجب سنة أثنتى عشرة من النبوة، وقيل : بأحد عشر شهراً، جزم به إبراهيم الحربي، حيث قال : كان في ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، ورجحه ابن المنير في شرح السيرة لابن عبد البر، وقيل : قبل الهجرة بسنة وشهرين، حكاه ابن عبد البر، وقيل : قبلها بسنة وثلاثة أشهر، حكاه ابن فارس، وقيل : بسنة وخمسة أشهر، قاله السدي، وأخرجه من طريقه الطبري والبيهقي، فعلى هذا كان في شوال أو في رمضان، على إلغاء الكسرين منه، ومن ربيع الأول، وبه جزم الواقدي، وعلى ظاهره ينطبق ما ذكره ابن قتيبة، وحكاه ابن عبد البر، أنه كان قبلها بثمانية عشر شهراً، وعند ابن سعد (٤) عن ابن أبي سبرة أنه كان في رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، وقيل كان في رجب، حكاه ابن عبد البر، وجزم به النووي في الروضة (٥) .

---

١ - فتح الباري : ٧ : ٢٠٣ بتصرف.

٢ - انظر : الطبقات الكبرى : ١ : ٢١٤، وشرح المواهب اللدنية : ١ : ٣٠٧.

٣ - انظر : الآية الكبرى : ١١١.

٤ - انظر : الطبقات الكبرى : ١ : ٢١٣.

٥ - انظر : شرح المواهب اللدنية : ١ : ٣٠٨.

قال السيوطي: المشهور أنه في رجب[1].

وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين، حكاه ابن الأثير، وحكى عياض وتبعه القرطبي والنووي عن الزهري أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين، ورجحه عياض ومن تبعه[2].

قال السيوطي: [3]وأما تعيين تلك الليلة من الشهر، فعينها ابن سعد[4] ليلة السبت لسبع عشرة من رمضان، وقال ابن المنير كالحربي: إنها ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر، وبذلك رجح القول بأنه في ربيع الآخر قبل الهجرة بأحد عشر شهرا، لأنه أحاط بتفصيل القضية وحررها بخلاف غيره، قال: - أعني ابن المنير - ويمكن أن يعين اليوم الذي أسفرت عنه هذه الليلة، ويكون يوم الاثنين، استقراء من تاريخ الهجرة، فإنها على الأصح كانت يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول. . ثم قال: ويكون أول ربيع الآخر، وهو شهر الإسراء الأربعاء، بفرض ربيع الأول تاما، وحينئذ فالسابع والعشرون منه الاثنين، وهو اليوم الذي أسفرت ليلة الإسراء عنه ان شاء الله، وحينئذ يوافق مولده يوم الأثنين، ومبعثه يوم الاثنين، وكذا هجرته ووفاته، فإن هذه الخمسة أطوار الانتقالات النبوية، وأتفق على أربعة منها أنها يوم الاثنين، فيقرب جدا في الخامس أن يكون أسوتها، ويكون يوم الاثنين في حقه ﷺ كيوم الجمعة في حق آدم عليه السلام.

وقيل: [5]الجمعة، وقيل: السبت. وقيل ليلة السابع والعشرين من رجب، وعليه عمل الناس. ثم قال: ذلك مما يغلب على الظن كونه راجحاً، وأختاره المقدسي.

بدء الإسراء:

هذا عن الزمان، وأما ما ورد في المكان الذي بدأ منه الإسراء، فقد سبق في رواية

---

١ - الآية الكبرى: ١١٢.

٢ - انظر: احتجاجه ورد ابن حجر في: فتح الباري: ٧: ٢٠٣، وشرح المواهب اللدنية: ١: ٣٠٧ والآية الكبرى: ١١١ - ١١٢.

٣ - الآية الكبرى: ١١٢.

٤ - انظر: الطبقات الكبرى: ١: ٢١٣.

٥ - شرح المواهب اللدنية: ١: ٣٠٨ بتصرف.

الحديث الثاني قوله ﷺ : (فرج عن سقف بيتي، وأنا بمكة). الحديث، وفي الحديث الثالث قوله ﷺ : (بينما أنا عند البيت). الحديث، لكن ورد في رواية للبخاري (بينما أنا في الحطيم (١) - وربما قال في الحجر (٢) - مضطجعاً). الحديث (٣) والمراد بقوله (في الحطيم) هنا - كما قال ابن حجر (٤) - الحجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام، أو بين زمزم والحجر، وهو وإن كان مختلفا في الحطيم هل هو الحجر أم لا . . لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع ذلك فيها، ومعلوم أنها لم تتعدد، لأن القصة متحدة، لاتحاد مخرجها.

وقيل: من شعب (٥) أبي طالب، وقيل: في بيت أم هانىء. وقيل: غير ذلك (٦).

قال ابن حجر بعد أن ذكر طرفا من ذلك (٧) : والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانىء، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه، فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكان به مضطجعا، وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق، وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع.

---

١ - الحطيم : الجدار، والمراد جدار حجر الكعبة، وإنما سمي حطيماً، لأن البيت رفع وترك ذلك محطوماً : لسان العرب، ومختار الصحاح : (حطم).

٢ - الحجر : حجر الكعبة، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال : لسان العرب، والصحا : (حجر).

٣ - البخاري : ٦٣، مناقب الأنصار (٣٨٨٧).

٤ - فتح الباري : ٧ : ٢٠٤.

٥ - الشّعب : ما انفرج بين جبلين، والشّعب : الطريق، وقيل : الطريق في الجبل، والجمع شعاب : لسان العرب، والمصباح المنير : (شعب).

٦ - انظر : الآية الكبرى : ١١٤.

٧ - فتح الباري : ٧ : ٢٠٤.

الفصل الثالث
شبهات وردها

حديث شريك :

كثر الكلام حول حديث شريك عن أنس - كما أسلفنا - وأثيرت شبهات كثيرة، وإليك نص الحديث :

قال البخاري رحمه الله : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني سليمان، عن شريك بن عبد الله أنه قال : سمعت ابن مالك يقول : ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم : أيهم هو؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم، فقال أحدهم : خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه، وتنام عينه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبّته (١)، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور (٢) من ذهب، محشوا إيمانا وحكمة، فحشا به صدره ولغاد يده (٣) - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء : من هذا؟ فقال : جبريل، قالوا : فمرحباً به وأهلا،

---

١ - قوله : لبته، بفتح اللام وتشديد الموحدة، وهي موضع القلادة من الصدر، وقال الداودي : (إلى لبته) : إلى عانته، لأن اللبة العانة، وقال ابن التين : وهو الأشبه، وفيه الرد على من أنكر شق الصدر وعدد الإسراء : عمدة القاري : ٢٥ : ١٧١ .

٢ - قوله : (تور) بفتح التاء المثناه من فوق وسكون الواو وبالراء : وهو إناء يشرب فيه : المرجع السابق : ١٧٢، وانظر : فتح الباري : ١٣ : ٤٨١ ففيه زيادة بيان .

٣ - قوله : (ولغاديده) بغين معجمة : فسره في هذه الرواية بأنها عروق حلقه، وقال أهل اللغة : هي اللحمات التي تكون بين الحنك وصفحة العنق، وأحدها لغدود ولغديد، ويقال له أيضاً : لغد، وجمعه ألغاد : مجمل اللغة (لغد)، وفتح الباري : ١٣ : ٤٨١ .

فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض، حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك، فسلِّم عليه، فسلّم عليه، ورد عليه آدم، وقال: مرحباً وأهلاً بابْنيّ، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران ياجبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصرهما (١)، ثم مضى به في السماء، فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده، فإذا هو مسك أذفر (٢)، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال: جبريل، قالوا: من معك؟ قال: محمد ﷺ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا: مرحباً به وأهلا. ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا مثل ذلك، ثم عرج به إلى السادسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بفضل كلامه لله، فقال موسى: رب! لم أظن أن ترفع عليَّ أحداً، ثم علا به فوق ذلك بمالا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهي، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى، فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إليَّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فأرجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم، إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه: يا رب! خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى، فأحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند

---

١ - قوله: (عنصرهما) أي عنصر النيل والفرات، والعنصر: بضم العين والصاد المهملتين بينهما نون ساكنة: هو الأصل: انظر: المرجعين السابقين.

٢ - قوله: (أذفر) بالذال المعجمة وبالفاء والراء: مسك جيد إلى الغاية شديد ذكاء الريح: عمدة القاري: ٢٥: ١٧٢.

الخمس، فقال : يا محمد، والله! لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال : يا رب! إن أمتني ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم، فخفف عنا، فقال الجبار : يا محمد، قال : لبيك [1] وسعديك، [2] قال : إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال : كيف فعلت؟ فقال : خفّف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى : قد والله! راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، أرجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ : يا موسى، قد والله! استحيت من ربي، مما اختلفت إليه، قال : فاهبط باسم الله، قال : واستيقظ وهو في مسجد الحرام [3] .

وقال مسلم رحمه الله : حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب، قال : أخبرني سليمان وهو ابن بلال، قال : حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئا وأخر، وزاد ونقص [4] .

شبهات :

تلك هي ألفاظ الحديث الذي أثيرت الشبهات حوله، قال ابن حجر [4] : ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء، بل تزيد على ذلك .

قلت : وإليك خلاصتها والرد عليها .

---

١ - يقال : لبيك لزوما لطاعتك، أو البابا بعد الباب وإقامة بعد إقامة، وإجابة بعد إجابة أو معناه اتجاهي إليك وقصدي وإقبالي على أمرك : الصحاح، والمعجم الوسيط، ومجمل اللغة (لب) .

٢ - يقال في الدعاء : لبيك وسعديك : أي إسعاداً لك بعد إسعاد : الصحاح، والمعجم الوسيط (سعد) .

٣ - البخاري : ٦٧ - التوحيد (٧٥١٧) (٤) مسلم : ١، الايمان ٢٦٢ (١٦٢) .

٤ - فتح الباري : ١٣ : ٤٨٥ .

الشبهة الأولى وردها :

قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين : زاد فيه - يعني شريكا - زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة، يعني عن أنس، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث، وسبق إلى ذلك أبو محمد بن حزم فيما حكاه الحافظ أبو الفضل بن طاهر في جزء جمعه سماه : «الانتصار لأيامي الأمصارو فنقل فيه عن الحميدي عن ابن حزم قال : لم نجد للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديثين، ثم غلبه في تخرجه (١) الوهم، مع إتقانهما وصحة معرفتهما، فذكر هذا الحديث، وقال: فيه ألفاظ معجمة، والآفة من شريك، من ذلك قوله : «قبل أن يوحى اليه» (٢) .

قال ابن حجر في جملة «قبل أن يوحى اليه» (٣) أنكرها الخطابي، وابن حزم، وعبد الحق، والقاضي عياض، والنووي، وعبارة النووي: وقع في رواية شريك - يعني هذه - أوهام أنكرها العلماء .

أحدها : قوله : «قبل أو يوحى إليه» وهو غلط لم يوافق عليه! وأجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء، فكيف يكون قبل الوحي؟

قال ابن حجر : وصرح المذكورون بأن شريكاً تفرد بذلك، وفي دعوى التفرد نظر، فقد وافقه كثير بن خنيس - بمعجمة ونون مصغر - عن أنس، كما أخرجه سعيد بن يحيى ابن سعيد الأموي في «كتاب المغازي» من طريقه .

وقال ابن حزم : الآفة من شريك (٤) ،ورد أبو الفضل بن طاهر على ذلك بقوله(٥): تعليل الحديث بتفرد شريك، ودعوى ابن حزم أن الآفة منه شيء لم يسبق إليه، فإن شريكاً قبله أئمة الجرح والتعديل ووثقوه، ورووا عنه، وأدخلوا حديثه في

---

١ - كذا في فتح الباري : ١٣ : ٤٨٤، ولعلها تخريجهما ليتسق مع المعنى!

٢ - فتح الباري : ١٣ : ٤٨٤ - ٤٨٥، وانظر : مسلم بشرح النووي : ٢ : ٢١٠ .

٣ - المرجع السابق : ٤٨٠، وانظر : إكمال إكمال المعلم : ١ : ٣١٤ .

٤ - توجيه النظر : ١٣٧ .

٥ - فتح الباري : ١٣ : ٤٨٥ .

تصانيفهم، واحتجوا به، وروي عبد الله بن أحمد الدورقي، وعثمان الدرامي، وعباس الدوري، عن يحيى بن معين : لا بأس به، وقال ابن عدي : مشهور من أهل المدينة، حدث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا روي عنه ثقة لا بأس به إلا أن يروي عنه ضعيف، قال ابن طاهر : وحديثه هذا رواه عنه ثقة، وهو سليمان بن بلال، قال : وعلى فرض تسليم تفرده قبل أن يوحى، إليه لا يقتضي طرح حديثه، فوهم الثقة في موضع من الحديث لا يسقط جميع الحديث، ولاسيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور، ولو ترك حديث من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين، ولعله أراد أن يقول : بعد أن أوحى إليه، فقال : قبل أن يوحى إليه.

قلت : ومما يقوي هذا قوله في نفس الحديث (وقد بعث؟ قال : نعم) ومن هنا كان هذا التأويل أولى، حتى يمكن الجمع، ومع هذا يمكن أن يكون الملائكة الذين أتوا النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه، أتوه ليلة أخرى، كما جاء في الحديث أيضا (حتى أتوه ليلة أخرى) ولم يعين المدة التي بين المجيئين - كما يقول ابن حجر [1]- فيحمل علي أن المجيء الثاني كان بعد أن أوحي إليه، وحينئذ وقع الإسراء والمعراج. . وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق في ذلك بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي كثيرة أو عدة سنين، وبهذا يرتفع الإشكال عن رواية شريك، ويحصل به الوفاق، أن الإسراء كان في اليقظة، بعد البعثة وقبل الهجرة، ويسقط تشنيع الخطابي وابن حزم وغيرهما بأن شريكا خالف الإجماع في دعواه أن المعراج كان قبل البعثة.

وأما ما ذكره بعد الشراح : أنه كان بين الليلتين اللتين أتاه فيهما الملائكة سبع، وقيل : ثمان، وقيل : تسع، وقيل : عشر، وقيل : ثلاثة عشر، فيحمل على إرادة السنين، لا كما فهمه الشارح المذكور أنها ليال، وبذلك جزم ابن القيم في هذا الحديث نفسه.

قلت : وبهذا يتبين أن شريكاً قبله أئمة الجرح والتعديل، وأن هذا الحديث رواه عنه ثقة، وأنه لم ينفرد بذلك، ولا إشكال في الجمع بين قوله : ﴿قبل أن يوحى إليه﴾ وقوله : ﴿وقد بعث؟ قال نعم﴾.

---

١ - المرجع السابق : ١٣ : ٤٨٠.

وأجاب بعضهم عن قوله : ﴿قبل أن يوحى إليه﴾ بأن القبلية هنا في أمر مخصوص، وليست مطلقة، وأحتمل أن يكون المعنى قبل أن يوحى إليه في شأن الإسراء والمعراج مثلاً، أي أن ذلك وقع بغتة قبل أن ينذر به، ويؤيده قوله في حديث الزهري : (فرج سقف بيتي)[1] .

الشبهة الثانية وردها :

زاد ابن حزم على قوله السابق : الآفة فيه من شريك، من ذلك قوله : قبل أن يوحى إليه، قال : وأنه حينئذ فرض عليه الصلاة، قال : وهذا لا خلاف بين أهل العلم إنما كان قبل الهجرة بسنة، وبعد أن أوحى إليه بنحو اثنتي عشرة سنة[2] .

قلت : وتلك أيضاً شبهة مردودة، حيث اختلفوا في تاريخ الإسراء والمعراج - كما سبق - اختلافاً كثيراً .

ومردودة أيضاً، حيث ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك كله وقع مرتين[3] : مرة في المنام، توطئة وتمهيدا وتسهيلا عليه، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة، ليسهل عليه أمر النبوة .

ومرة ثانية في اليقظة .

قالوا : وبذلك يجمع بين الأحاديث، وممن أختار هذا القول أبو نصر القشيري، وابن العربي، والسهيلي .

وجوز بعض أصحاب هذا القول أن تكون قصة المنام وقعت قبل البعث، لأجل ما في رواية شريك ﴿وذلك قبل أن يوحى إليه﴾ .

قال السهيلي[4] : وهذا القول هو الذي يصح، وبه تتفق معانى الأخبار .

قلت : سبق أن عرفنا أن الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين قد ذهبوا إلى أنهما وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث،

---

١ - المرجع السابق : ٤٨٥ .

٢ - المرجع السابق .

٣ - الآية الكبرى : ١٠٩، وانظر : الروض الأنف : ٢ : ١٤٩، وعيون الأثر : ١ : ١٤٧ .

٤ - الروض الأنف : ٢ : ١٤٩ .

فكيف يقول السهيلي عن القول بأن ذلك وقع مرتين (هو الذي يصح؟!) وعلى كل فهو قول محتمل للجمع بين الأحاديث.

وقال ابن كثير (١) : تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء، طبق ما وقع بعد ذلك، فإنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بدء الوحي (٢) أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناما قلبه، ليكون ذلك من باب الإرهاص والتوطئة والتثبت والإيناس.

قال ابن حجر : المستبعد وقوع التعدد في قصة المعراج التي فيها سؤاله عن كل نبي، وسؤال أهل كل باب : هل بعث إليه؟ وفرض الصلوات الخمس، وغير ذلك، فإن تعدد ذلك في اليقظة لا يتجه، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض، أو الترجيح، إلا أنه لا بعد في جميع وقوع ذلك في المنام توطئة، ثم وقوعه في اليقظة على وفقه. . ومن المستغرب قول ابن عبد السلام في تفسيره : كان الإسراء في النوم واليقظة، ووقع بمكة والمدينة، فإن كان يريد تخصيص المدينة بالنوم، ويكون كلامه على طريق اللف والنشر غير المرتب فيحتمل، ويكون الإسراء الذي اتصل به المعراج، وفرضت فيه الصلوات في اليقظة بمكة، والآخر في المنام بالمدينة، ينبغي أن يزاد فيه أن الإسراء في المنام تكرر بالمدينة النبوية (٣) .

الشبهة الثالثة وردها :

جاء في رواية شريك : (وهو نائم في المسجد الحرام) ومن ثم ذهب بعضهم إلى أن ذلك وقع في المنام.

قال البغوي (٤) : هذا الاعتراض الذي اعترض به على رواية شريك لا يصح عندي، لأن ذلك كان رؤيا في النوم أراه الله تعالى عز وجل قبل الوحي، بدليل آخر الحديث - أي حديث شريك الذي معنا - (واستيقظ وهو في مسجد الحرام) (٥) ثم

---

١ - البداية والنهاية : ٣ : ١١٤.

٢ - انظر : البخاري : ١، بدء الوحي ٣، ومسلم: ١، الإيمان ٢٥٢ (١٦٠).

٣ - فتح الباري : ٧ : ١٩٨.

٤ - شرح الشفا : ١ : ٣٨٧.

٥ - في المرجع السابق : (فأستيقظ وهو بالمسجد الحرام).

عرج به في اليقظة بعد الوحي تحقيقا لرؤياه من قبل، كما أنه عليه الصلاة السلام فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة، ثم كان تحقيقه سنة ثمان، ونزل قوله تعالى :

﴿لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق﴾ (١) .

قلت : سبق الرد على قوله (قبل الوحي)، وتدفعنا ضرورة البحث إلى بيان أن شريكا لم ينفرد بتلك الرواية، وأن لفظ (نائم) يطلق على حال النبي ﷺ أول وصول الملك إليه، كما سيأتي من قول عياض .

أما عن عدم انفراد شريك بالرواية، فقد سبق ذكر رواية الشيخين وغيرهما عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، قال : قال النبي ﷺ :

«بينا أنا عند البيت، بين النائم واليقظان . . » الحديث، وتعددت الروايات في ذلك .

وأما عن حال النبي ﷺ في هذا المقام فقد قال عياض : وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما، وقوله في حديث آخر «بين النائم واليقظان» .

وقوله : «واستيقظ» (٢) فلا حجة فيه، إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم، أو أول حمله والإسراء به وهو نائم، وليس في الحديث أنه كان نائما في القضية كلها، إلا ما يدل عليه (واستيقظ وهو في مسجد الحرام) - وفي لفظ (استيقظت) - فلعل قوله (استيقظت) بمعنى أصبحت، واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته، ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله.

وقد يكون قوله (استيقظت وأنا في المسجد الحرام) لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السماوات والأرض، وخامر باطنه من مشاهد الملأ الأعلى، وما رآى من آيات ربه الكبرى، فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام . . أو يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع، ويقويه قوله في رواية

---

١ - سورة الفتح : آية ٢٧ .

٢ - في الأصل (ثم استيقظت) وما ذكرته هو نص حديث شريك الذي معنا .

عبد بن حميد عن همام: (بينما أنا نائم، وربما قال مضجع) وفي رواية هدبة عنه: (بينا أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر مضطجع) وقوله في الرواية الأخرى: (بين النائم واليقظان)سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالباً[1].

الشبهة الرابعة وردها:

قال عياض: قد ذكر في أوله - أي حديث شريك - مجيء الملك له، وشق بطنه، وغسله بماء زمزم، وهذا إنما كان وهو صبي، وقبل الوحي[2]، وادعى ابن حزم وعياض أن ذلك من تخليط شريك[3].

قلت: وأيضا لم ينفرد شريك بذلك، فقد سبق في رواية الشيخين وغيرهما عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة: (فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم مليء حكمة وإيماناً...) الحديث.

قال ابن حجر: وقد أستنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء، وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به، وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة، كما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ولكل منهما حكمة.

فالأول: وقع فيه من الزيادة، كما عند مسلم من حديث أنس:

«فأستخرج منه علقة[4] فقال: هذا حظ الشيطان منك»[5].

وكان هذا في زمن الطفولية، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.

ثم وقع شق الصدر عند البعث، زيادة في إكرامه، ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوى في أكمل الأحوال من التطهير.

ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء، ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن

---

١ - الشفا: ١: ٤١١ - ٤١٣ بتصرف.

٢ - المرجع السابق: ٣٨٧.

٣ - المواهب اللدنية: ٦: ٢٣.

٤ - العلقة: الدم الغليظ المتجمد: المصباح والمعجم الوسيط: (علق).

٥ - مسلم: ١، الإيمان ٢٦١ (١٦٢).

تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة، كما تقرر في شرعه ﷺ، ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره، وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها.

وجميع ما ورد من شق الصدر، واستخراج القلب وغير ذلك، من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم له، دون التعرض لصرفه عن حقيقته، لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك.

وقال القرطبي في «المفهم» لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء، لأن رواته ثقات مشاهير [1].

الشبهة الخامسة وردها:

تتعلق بأمكنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم [2] فقد جاء في رواية شريك: (فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بفضل كلامه لله).

بينما رواية قتادة وغيرها - كما سبق - تذكر في السماء الأولى آدم. وفي الثانية عيسى ويحيى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم.

قلت: لم ينفرد شريك أيضا في هذا، فقد سبق أن ذكرنا ما رواه الشيخان عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال:

«فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري..» إلى أن قال: قال أنس: فذكر أنه وجد في السماوات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم، صولات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة.. الحديث.

وبهذا نتبين أن رواية الشيخين هذه قد وافقت رواية شريك في أن إبراهيم في السماء

---

١ - فتح الباري: ٧: ٢٠٤ - ٢٠٥، وانظر: شرح المواهب اللدنية: ٦: ٢٥.

٢ - المرجع السابق: ١٣: ٤٨٥.

السادسة . . بينما هو - كما سبق - في السابعة .

وفي رواية للنسائي عن يزيد بن أبي مالك، عن أنس بن مالك . . وفيه :

(. . ثم صعد بي إلى السماء الدنيا، فإذا فيها آدم عليه السلام، ثم صعد بي إلى الثانية، فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فإذا فيها يوسف عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة، فإذا فيها هارون عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة، فإذا فيها إدريس عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء السادسة، فإذا فيها موسى عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فإذا فيها إبراهيم عليه السلام، ثم صعد بي فوق سبع سماوات، فأتينا سدرة المنتهي . .)[1] الحديث .

قال النووي : فان كان الإسراء مرتين فلا إشكال فيه، ويكون في كل مرة وجده في سماء، وإحداهما موضع استقراره ووطنه، والأخرى كان فيها غير مستوطن، وإن كان الإسراء مرة واحدة فلعله وجده في السادسة، ثم ارتقى إبراهيم أيضاً إلى السابعة[2] .

وقال ابن حجر : فمع التعدد لا إشكال فيه، ومع الاتحاد فقد جمع بأن موسى كان في حالة العروج في السادسة، وإبراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك ابن صعصعة، وعند الهبوط كان موسى في السابعة، لأنه لم يذكر في القصة أن إبراهيم كلمه في شيء مما يتعلق بما فرض الله على أمته من الصلاة، كما كلمه موسى، والسماء السابعة هي أول شيء انتهى إليه حالة الهبوط، فناسب أن يكون موسى بها، لأنه هو الذي خاطبه في ذلك، كما ثبت في جميع الروايات، ويحتمل أن يكون لقى موسى في السادسة، فأصعد معه إلى السابعة، تفضيلاً له على غيره، من أجل كلام الله تعالى، وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع المصطفى فيما يتعلق بأمر أمته في الصلاة[3] .

الشبهة السادسة وردها :

جاءت في رواية شريك : (ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء

---

١ - النسائي : ١ : ٢٢١ - ٢٢٢ .

٢ - مسلم بشرح النووي : ٢ : ٢١٩ - ٢٢٠ .

٣ - فتح الباري : ١٣ : ٤٨٢ .

سدرة المنتهي).

قال ابن حجر : كذا وقع في رواية شريك، وهو مما خالف فيه غيره، فإن الجمهور على أن سدرة المنتهي في السابعة، وعند بعضهم في السادسة[1].

قلت : لم ينفرد شريك أيضا بهذه الرواية، ففي رواية الشيخين وغيرها - كما سبق - عن قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة : (ورفعت إلى سدرة المنتهى . .) الحديث.

وفي رواية لهما - أيضاً كما سبق - عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك : (ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهي . .) الحديث.

وفي رواية يزيد التي سبق ذكرها عن أنس : (. . ثم صعد بي فوق سبع سماوات، فأتينا سدرة المنتهي . .) الحديث.

قلت : وهذا صريح في كون سدرة المنتهي فوق سبع سماوات.

ومع هذا فقد روى مسلم وغيره من حديث ابن مسعود قال : (لما أسرى برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها . .) الحديث[2].

قال ابن حجر : ولعل في السباق تقديماً وتأخيراً، وكان ذكر سدرة المنتهي قبل، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، ثم قال : ويحتمل أن يكون المراد بما تضمنته هذه الرواية من العلو البالغ لسدرة المنتهي صفة أعلاها، وما تقدم صفة أصلها[3].

وقال : ولا يعارض قوله إنها في السادسة مادلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة، لأنه يحمل على أن أصلها في السماء السادسة، وأغصانها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها[4].

---

١ - المرجع السابق : ٤٨٣.

٢ - مسلم : ١، الايمان ٢٧٩ (١٧٣)، وأحمد : ١ : ٣٨٧، ٤٢٢، والنسائي ١ : ٢٢٣ - ٢٢٤.

٣ - فتح الباري : ١٣ : ٤٨٣.

٤ - المرجع السابق : ٧ : ٢١٣.

وقال القاري: يمكن الجمع بأن مبدأها في الأرض، ومعظمها في السماء السادسة، وانتهاءها ومحل أثمارها، وغشيان أنوارها، في السماء السابعة، ويؤيده قوله (إليها) أي إلى السدرة (ينتهي ما يعرج به من الأرض) بصيغة المجهول، وكذا قوله (فيقبض منها) أي تقبضه الملائكة الموكلون فيها بأخذ ما صعد به من الأعمال، والأرواح إليها (وإليها ينتهي ما يهبط) أي ينزل (من فوقها فيقبض منها) أي فيقبضه من أذن له، وإيصاله إلى من قضي له به[1].

الشبهة السابعة وردها:

وجاء في الرواية أيضا: (فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ماهذان النهران ياجبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصرهما).

قال ابن حجر: وظاهر هذا يخالف حديث مالك بن صعصعة - أي الذي سبق ذكره - فإن فيه بعد ذكر سدرة المنتهى (في أصلها أربعة أنهار) قال: ويجمع بأن أصل نبعها من تحت سدرة المنتهى، ومقرهما في السماء الدنيا، ومنها ينزلان إلى الأرض[2].

وقال أيضاً: والجمع بينهما أنه رآى هذين النهرين عند سدرة المنتهى، مع نهري الجنة، ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة، وأراد بالعنصر عنصر امتيازهما بسماء الدنيا، كذا قال ابن دحية[3].

قال النووي: والمراد من أصل سدرة المنتهي كما جاء مبينا في صحيح البخاري وغيره، قال مقاتل: الباطنان هما: السلسبيل والكوثر، قال عياض: هذا الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض، لخروج النيل والفرات من أصلها، وقال النووي: هذا الذي قاله ليس بلازم، بل معناه أن الانهار تخرج من أصلها، ثم تسير حيث أراد الله تعالى، حتى تخرج من الأرض، وتسير فيها، وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع، وهو ظاهر الحديث، فوجب المصير إليه[4].

---

١ - شرح الشفا: ١: ٣٩٣.

٢ - فتح الباري: ١٣: ٤٨٢.

٣ - المرجع السابق: ٧: ٢١٤.

٤ - مسلم بشرح النووي: ٢: ٢٢٤ - ٢٢٥.

وقال الأبي: ووجه الجمع أن يكون أصلها في السماء، وأنزل من أصلها إلى الأرض النيل والفرات[1].

الشبهة الثامنة وردها:

وجاء قوله: (ودنا الجبار، رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى) قال الخطابي (2): ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - حديث أشنع ظاهرا، ولا أشنع مذاقا من هذا الفصل، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل، قال: فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعا عن غيره، ولم يعتبره بأول القصة وآخرها، اشتبه عليه وجهه ومعناه، وكان قصاراه إما رد الحديث من أصله، وإنما الوقوع في التشبيه، وهما خطتان مرغوب عنهما..

ثم قال الخطابي مشيراً إلى رفع الحديث من أصله، بأن القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه، لم يعزها إلى النبي ﷺ، ولا نقلها عنه، ولا أضافها إلى قوله، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوي، إما من أنس، وإما من شريك، فإنه كثير التفرد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة..

وقال: إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبة التدلي للجبار عز وجل مخالف لعامة السلف، والعلماء، وأهل التفسير، ومن تقديم منهم ومن تأخر. قال: والذي قبل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه دنا جبريل من محمد ﷺ فتدلى، أي تقرب منه، وقيل: هو على التقديم والتأخير، أي تدلى فدنا، لأن التدلي يسبب الدنو.

الثاني: تدلى له جبريل بعد الانتصاب والارتفاع، حتى رآه متدلياً، كما رأه مرتفعاً، وذلك من آيات الله، حيث أقدره على أن يتدلى في الهواء، من غير اعتماد على شيء، ولا تمسك بشيء.

---

١ - إكمال إكمال المعلم: ١: ٣١٨.

٢ - فتح الباري: ١٣: ٤٨٣ - ٤٨٤ بتصرف.

الثالث : دنا جبريل، فتدلى محمد ﷺ ساجداً لربه تعالى، شاكراً على ما أعطاه.

قال : وقد روي هذا الحديث عن أنس من غير طريق شريك، فلم يذكر هذه الألفاظ الشنيعة، وذلك مما يقوى الظن أنها صادرة من جهة شريك.

قال ابن حجر : وما نفاه من أن أنسا لم يسند هذه القصة إلى النبي ﷺ لا تأثير له، فأدنى أمره فيها أن يكون مرسل صحابي، فإما أن يكون تلقاها عن النبي ﷺ، أو عن صحابي تلقاها عنه، ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأي، فيكون لها حكم الرفع، ولو كان لما ذكره تأثير لم يحمل حديث أحد روي مثل ذلك على الرفع أصلاً، وهو خلاف عمل المحدثين قاطبة، فالتعليل بذلك مردود..

قال : وقد أخرج الأموي في مغازيه، ومن طريقه البيهقي عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس في قوله تعالى:

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾[1].

قال : دنا منه ربه، وهذا سند حسن، وهو شاهد قوي لرواية شريك.

وقال : أما ما جزم به من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس في التدلي ففيه نظر، فقد ذكرت من وافقه، وقد نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال : «دنا الله سبحانه وتعالى»[2].

وقد أزال العلماء إشكاله، فقال القاضي عياض: إضافة الدنو والقرب إلى الله تعالى، أو من الله، ليس دنو مكان، ولا قرب زمان، وإنما هو بالنسبة إلى النبي ﷺ إبانة لعظيم منزلته، وشريف رتبته، وبالنسبة إلى الله عز وجل تأنيس لنبيه وإكرام له ويتأول فيه ما قالوه في حديث :

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول : من يدعوني فأستجيبَ له! من يسألني فأعطيه! من يستغفرني فأغفر له».

---

١ - سورة النجم : آية ١٣.

٢ - ورواه ابن جرير وابن مردويه : الدر المنثور : ٦ : ١٢٣، وانظر : دلائل النبوة للبيهقي : ٢ : ١٣٠ : ١٣٢، ففيه متابع آخر لرواية شريك.

رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه [1] .

والأحاديث في هذا كثيرة، وعليه فإذا كان كل حديث متشابه يرد فإن تلك الأحاديث المتشابهة ترد، وهذا أمر مردود!

وقد نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال : «دنا الله سبحانه وتعالى» قال : والمعنى دنا أمره وحكمه، وأصل التدلي النزول إلى الشيء حتى يقرب منه، قال : وقيل : تدلى الرفرف لمحمد ﷺ، حتى جلس عليه، ثم دنا محمد من ربه. وقيل : الدنو مجاز عن القرب المعنوي لاظهار عظيم منزلته عند ربه تعالى، والتدلي طلب زيادة القرب، وقاب قوسين بالنسبة إلى النبي ﷺ عبارة عن لطف المحل، وإيضاح المعرفة، وبالنسبة إلى الله إجابة سؤاله، ورفع درجته [2] .

وقال السهيلي : وأما الدنو والتدلي فهما خبر عن النبي ﷺ، عن بعض المفسرين، وقيل : إن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام، تدلى إلى محمد ﷺ، حتى دنا منه، وهذا قول طائفة أيضا، وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات منه (فتدلى الجبار) وهذا مع صحة نقله، لا يكاد أحد من المفسرين يذكره، لاستحالة ظاهره، أو للغفلة عن موضعه، ولا استحالة فيه، لأن حديث الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه، وعنيه نائمة كما في حديث أنس، فلا إشكال. . ثم قال : وقد بينا آنفاً أن حديث الإسراء كان رؤيا، ثم كان يقظة، فإن كان قوله (فتدلى الجبار) في المرة التي كان فيها غير نائم، وكان الإسراء بجسده فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله : (ينزل ربنا. .) الحديث، فليس بأبعد منه في باب التأويل، فلا نكارة فيه، كان في نوم أو يقظة [3] .

رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج :

وهنا تدفعنا منهجية البحث إلى بيان موقف العلماء من رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج : هل حصلت للرسول ﷺ أولا؟

---

١ - البخاري : ١٩ - التهجد (١١٤٥)، ٨٠ - الدعوات (٦٣٢١)، ٩٧ - التوحيد (٧٤٩٤) وفيها (يتنزّل)، يقول ابن حجر : فتح الباري : ١٣ : ٤٦٨ كذا للأكثر بمثناة وتشديد، ولأبي ذر عن المستملي والسرخسي (ينزل)، ومسلم : ٦ - صلاة المسافرين ١٦٨ (٧٥٨)، ومالك : ١٥ - القرآن (٣٠)، والترمذي : ٤٩ - الدعوات (٣٤٩٨)، وأبو داود : الصلاة (١٣٠١) عون المعبود، وانظر : فتح الباري : ٣ : ٣٠.

٢ - المرجع السابق : ١٣ : ٤٨٤ بتصريف.

٣ - الروض الأنف : ٢ : ١٥٦ بتصرف.

ثلاثـة أقـوال :

وفي هذا ثلاثة أقوال :

القـول الأول :

أن الرسول ﷺ رأى ربه ليلة المعراج، وقد روى - كما يقول عيـاض [1]- عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أنـه رآه بعينـه، ومثلـه عن أبي ذر وكعب رضي الله عنهما، والحسن رحمه الله وكان يحلف على ذلك، وحكى مثله عن ابن مسعود وأبي هـريـرة، وأحمد بن حنبل، وحكى أصحـاب المقـالات عن أبي الحسن الأشعـري وجماعـة من أصحابه أنه رآه، ووقف بعض مشايخنا في هذا، وقـال: ليس عليـه دليل واضح على جوازها، إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه، وقد اختلفوا في رؤية موسى ﷺ ربه، وفي مقتضي الآية ورؤيـة الجبل، ففي جـواب القـاضي أبي بكـر مـا يقتضي أنهما رأياه، وكذلك اختلفوا في أن نبينا محمدا ﷺ هل كلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء بغير واسطة أو لا، فحكي عن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه، وعزا بعضهم هذا إلى جعفر بن محمد، وابن مسعود، وابن عباس، وكذلك اختلفوا في قوله تعالى :

﴿ثم دنا فتدلى﴾ [2].

فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم مـا بين جبريل والنبي ﷺ، أو مختص بأحدهما من الآخر، ومن السدرة المنتهي، وذكر عن ابن عبـاس، والحسن، ومحمـد بن كعب، وجعفـر بن محمـد، وغيرهم : أنـه دنـو من النبي ﷺ إلى ربـه سبحـانـه وتعالى، أو من الله تعالى، وعلى هذا القول يكـون الـدنـو والتـدلي متأولا، ليس على وجهه، بل كما قال جعفـر بن محمـد : الـدنـو من الله تعـالى لاحـد لـه، ومن العبـاد بالحدود، فيكون معنى دنو النبي ﷺ من ربه سبحانه وتعالى وقربه منـه ظهـور عظيم منزلتـه لديـه، وإشـراق أنوار معرفتـه عليـه، واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه، والدنو من الله سبحانه له إظهار ذلك له، وعظيم بره وفضلـه العظيم لديه، ويكون قوله تعالى :

---

١ - مسلم بشرح النووي : ٣ : ٤ - ٥ بتصرف، وانظر : إكمال إكمال المعلم : ١ : ٣٢٦ - ٣٢٧.

٢ - سورة النجم : آية ٨.

﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ [1] .

على هذا عبارة عن لطف المحل، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من نبينا ﷺ، ومن الله إجابة الرغبة، وإبانة المنزلة، ويتأول في ذلك ما يتأول في قوله ﷺ:

«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه [2] .

يقول النووي: وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية، قال: والحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة، ولكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ.

وعن عكرمة سئل ابن عباس رضي الله عنهما: هل رآى محمد ﷺ ربه؟ قال: نعم.

وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال:

رأى محمد ﷺ ربه.

وكان الحسن يحلف: لقد رأى محمد ﷺ ربه.

والأصل في الباب حديث ابن عباس، حبر الأمة، والمرجوع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهم في هذه المسألة وراسله: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فأخبره أنه رآه..

وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل، ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع، ولا يستجيز أحد

---

١ - سورة النجم: آية ٩.

٢ - البخاري: ٩٧ - التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم: ٤٨ - الذكر ١ (٢٦٧٥)، وأحمد: ١٣: ١٥٤ (٧٤١٦) تحقيق أحمد شاكر، والترمذي: ٤٩ - الدعوات (٣٦٠٣)، وابن ماجه: ٣٣ - الأدب (٣٨٢١).

أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد . .

قال النووي : فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأي ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه .

القول الثاني :

أن النبي ﷺ لم ير ربه، فقد أنكرت ذلك عائشة رضي الله عنها، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعة، وهو المشهور عن ابن مسعود، وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين [1] .

يروي الشيخان عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أمتاه! هل رآي محمد ﷺ ربه؟ فقالت : لقد قفّ [2] شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب :

من حدثك أن محمداً ﷺ رآى ربه فقد كذب، ثم قرأت :

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [3] .

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾ [4] .

ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت :

﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾ [5] .

ومن حدثك أنه كتم فقد كَذب، ثم قرأت :

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية [6] .

---

١ - مسلم بشرح النووي : ٣ : ٤ - ٥ .

٢ - أي قام من الفزع، لما حصل عندها من هيبة الله، واعتقدته من تنزيهه، واستحالة وقوع ذلك. قال النضر بن شميل : القف : بفتح القاف وتشديد الفاء، كالقشعريرة، وأصله : (النقبض) والاجتماع، لأن الجلد (ينقبض) عند الفزع، فيقوم الشعر لذلك : فتح الباري : ٨ : ٦٠٧، وما بين القوسين هكذا في فتح الباري وصوابه (التقبض) و(يتقبّض) كما في: مقاييس اللغة، والمعجم الوسيط، ولعل ما في فتح الباري يرجع إلى الخطأ المطبعي!

٣ - سورة الأنعام : آية ١٠٣ .

٤ - سورة الشورى : آية ٥١ .

٥ - سورة لقمان : آية ٣٤ .

٦ - سورة المائدة : آية ٦٧ .

ولكن رآى جبريل عليه السلام في صورته مرتين [1] :

وفي رواية للبخاري عن زر عن قوله تعالى :

﴿فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [2] .

قال : أخبرنا عبد الله أنه محمد ﷺ رآى جبريل له ستمائه جناح [3] .

ورواه مسلم [4] .

قال ابن حجر : والحاصل أن ابن مسعود كان يذهب في ذلك إلى أن الذي رآه النبي ﷺ هو جبريل، كما ذهبت إلى ذلك عائشة، والتقدير على رأيه : (فأوحى) أي جبريل (إلى عبده) أي عبد الله محمد، لأنه يرى أن الذى دنا فتدلى هو جبريل، أو أنه هو الذي أوحى إلى محمد. وكلام أكثر المفسرين من السلف يدل على أن الذي أوحى هو الله، أوحى إلى عبده محمد، ومنهم من قال إلى جبريل [5] .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة في قوله تعالى :

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [6] .

قال : رآى جبريل [7] .

وقال ابن القيم : وأما قوله تعالى في سورة النجم :

﴿ثم دنا فتدلي﴾ [8] .

فهو غير الدنو والتدلي في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه، كما قالت عائشة وابن مسعود، والسياق يدل عليه، فإنه قال :

---

١ - البخاري : ٦٥ - التفسير (٤٨٥٥)، ومسلم : ١ : الإيمان ٢٨٧، ٢٨٩ (١٧٧).

٢ - سورة النجم : آية ٩ - ١٠ .

٣ - البخاري : ٦٥ - التفسير (٤٨٥٧).

٤ - مسلم : ١ - الإيمان ٢٨٠ - ٢٨٢ (١٧٤).

٥ - فتح الباري : ٨ : ٦١٠ - ٦١١ .

٦ - سورة النجم : آية ١٣ .

٧ - مسلم : ١ - الإيمان ٢٨٣ (١٧٥).

٨ - سورة النجم : آية ٥ - ٨ .

﴿علمه شديد القوى﴾ وهو جبريل ﴿ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى﴾ (١).

فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى، وهو الذي دنا فتدلى. فكان من محمد ﷺ قدر قوسين أو أدنى (٢).

بين القولين :

قال النووي عقب ذكره أدلة القول الأول (٣) : ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها، لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول :

لم أر ربي، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى :

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾ (٤).

ولقول الله تعالى :

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ (٥).

والصحابي إذا قال قولا، وخالفه غيره منهم، لم يكن قوله حجة.

وذكر ابن حجر تعليقا على قول النووي أن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة (٦). فإنه قال في كتاب التوحيد من صحيحه : النفي لا يوجب علما، ولم تحك عائشة أن النبي ﷺ أخبرها أنه لم ير ربه، وإنما تأولت الآية. قال ابن حجر : وهو عجيب، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ، فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي، عن مسروق في الطريق المذكور قال مسروق : وكنت متكئا فجلست فقلت : ألم يقل الله :

﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن

---

١ - سورة النجم : آية ٥ - ٨.

٢ - زاد المعاد : ٣ : ٣٨.

٣ - مسلم بشرح النووي : ٣ : ٥.

٤ - سورة الشورى : آية ٥١.

٥ - سورة الأنعام : آية ١٠٣.

٦ - فتح الباري : ٨ : ٦٠٧ - ٦٠٨ بتصرف.

ذلك. فقال : (إنما هو جبريل) الحديث[1].

وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى عن داود بهذا الإسناد، فقالت : أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا، فقلت : يا رسول الله! هل رأيت ربك فقال : (لا. إنما رأيت جبريل منهبطاً).

نعم، احتجاج عائشة بالآية المذكورة خالفها فيه ابن عباس، فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : رآى محمد ربه. قلت : أليس الله يقول :

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار؟﴾[2].

قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقال : أريه مرتين[3].

قال ابن حجر : وحاصله أن المراد بالآية نفي الإحاطة به عند رؤياه، لا نفي أصل رؤياه، واستدل القرطبي في «المفهم» لأن الإدراك لا ينافي الرؤية، بقوله تعالى حكاية عن أصحاب موسى :

﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون. قال كلا﴾[4].

وهو استدلال عجيب، لأن متعلق الإدراك في آية الأنعام البصر، فلما نفي كان ظاهره نفي الرؤية، بخلاف الإدراك الذي في قصة موسى، ولولا وجود الأخبار بثبوت الرؤية ما ساغ العدول عن الظاهر.

قال القرطبي : الأبصار في الآية جمع محلىً بالألف واللام فيقبل التخصيص، وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى :

﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾[5].

فيكون المراد الكفار، بدليل قوله تعالى في الآية الأخرى :

---

١ - انظر : مسلم : ١ - الإيمان ٢٨٧ (١٧٧).
٢ - سورة الأنعام : آية ١٠٣.
٣ - الترمذي : ٤٨ - تفسير القرآن (٣٢٧٩)، وانظر : (٣٢٧٨ - ٣٢٨٠).
٤ - سورة الشعراء : آية ٦١ - ٦٢.
٥ - سورة المطففين : آية ١٥.

﴿وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة﴾ [1].

قال: وإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا، لتساوي الوقتين بالنسبة إلى المرئي.

قال ابن حجر: وهو استدلال جيد.

وقال عياض: رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلا، وثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة، وأما في الدنيا فقال مالك: إنما لم ير سبحانه في الدنيا لأنه باق، والباقي لا يرى بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أنصاراً باقية، رأوا الباقي بالباقي. قال عياض: وليس في هذا الكلام استحالة الرؤية إلا من حيث القدرة، فإذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع.

قال ابن حجر: لكن من أثبتها النبي ﷺ له أن يقول: إن المتكلم لا يدخل في عموم كلامه.

ثم قال: يمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم، لأنه ﷺ كان عالما بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا، ولو جرت العادة بخلقها في العين، وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال: (رآى محمد ربه)، وعند مسلم من حديث أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال:

(نور أني أراه) [2] وفي رواية لأحمد عنه قال: (رأيت نوراً).

وقال ابن كثير في قوله تعالى: (فأوحى إلى عبده ما أوحى) معناه: فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، وكلا المعنيين صحيح [3].

قلت: سبق في رواية ثابت عن أنس بن مالك: (فأوحى الله إليّ ما أوحى..)

---

١ - سورة القيامة: آية ٢٢ - ٢٣.

٢ - انظر: مسلم: ١ - الإيمان ٢٩١، ٣٩٢ (١٧٨).

٣ - تفسير ابن كثير: ٤: ٢٤٩.

وهو صريح في هذا، اللهم إلا أن يقال: لأن الايحاء الوارد في هذه الرواية كان في ليلة الإسراء، بدليل نص هذا الحديث، فهو في الإسراء والمعراج، والايحاء الآخر الذي سبق ذكره في بدء الدعوة والرسول ﷺ لم يكن قد أسري به.

وفي هذا يقول ابن القيم بعد أن ذكر أن الدنو والتدلي في سورة النجم غيره في قصة الإسراء: فأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتدليه، ولا تعرّض في سورة النجم لذلك، بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، وهذا هو جبريل، رآه محمد ﷺ على صورته مرتين: مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى [1].

ويقول القسطلاني: وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا الحديث وغيره من أحاديث المعراج غير الدنو والتدلي المذكور في قوله تعالى في سورة النجم ﴿ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين﴾ وإن اتفقا في اللفظ، فإن الصحيح أن المراد في الآية جبريل، لأنه الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ هكذا فسرة النبي ﷺ في الحديث الصحيح - الذي سبق ذكره - ثم دلل على ذلك [2].

ويقول ابن كثير: فأما قول شريك عن أنس في حديث الإسراء: ﴿ودنا الجبار رب العزة، فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ فقد يكون من فهم الراوي فأقحمه في الحديث.. وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة، بل هو شيء آخر، غير ما دلت عليه الآية الكريمة [3].

القول الثالث:

أما القول الثالث فهو التوقف في هذه المسألة، وقد رجحه القرطبي في «المفهم» وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، قال: وليست المسألة من العمليات،

---

١ - زاد المعاد: ٣: ٣٨.

٢ - المواهب اللدنية: ٦: ٩٨.

٣ - البداية والنهاية: ٣: ١١٢.

فيكتفي فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات، فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي [1].

الراجح من الأقول :

وبعد هذا التطواف أراني أرجح إثبات الرؤية لأدلة المثبتين من جهة، ولما سبق في «بين القولين» من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة لما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [2] .

قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس [3] .

قال ابن حجر : إضافة الرؤيا إلى العين للاحتراز عن رؤيا القلب، وقد أثبت الله تعالى رؤيا القلب في القرآن فقال :

﴿ما كذب الفؤاد ما رآى﴾ [4] .

ورؤيا العين فقال :

﴿ما زاغ البصر وما طغى . لقد رآى﴾ [5] .

وروى الطبراي في الأوسط بإسناد قوي عن ابن عباس قال :

(رأى محمد ربه مرتين) .

ومن وجه آخر قال :

(نظر محمد إلى ربه) .

جعل الكلام لموسى، والخلة لإبراهيم، والنظر لمحمد، فإذا تقرر ذلك ظهر أن مراد ابن عباس هنا برؤية العين المذكورة جميع ما ذكره ﷺ في تلك الليلة من الأشياء

---

١ - فتح الباري : ٨ : ٦٠٨ .
٢ - سورة الإسراء : آية ٦٠ .
٣ - البخاري ٦٣ - مناقب الأنصار (٣٨٨٨) .
٤ - سورة النجم : آية ١١ .
٥ - سورة النجم : آية ١٧ - ١٨ .

التي تقدم ذكرها[1].

وفي رواية للحاكم بسند صحيح عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ[2].

قال ابن حجر: [3] وجنح ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» إلى ترجيح الاثبات، وأطنب في الاستدلال بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين: مرة بعينه، ومرة بقلبه، وفيما أوردته من ذلك مقنع، وممن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام أحمد، فروي الخلال في «كتاب السنة» عن المروزي، قلت لأحمد: إنهم يقولون: إن عائشة قالت: «من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ:

«رأيت ربي».

قول النبي ﷺ أكبر من قولها.

رواه أحمد بسند صحيح[4].

الشبهة التاسعة وردها:

وجاء في رواية شريك: (فعلا به إلى الجبار، فقال: وهو مكانه: يا رب! خفف عنا).

قال الخطابي: وفي هذا الحديث لفظة أخرى تفرد بها شريك أيضاً، لم يذكرها غيره، وهي قوله: (فعلا به - يعني جبريل - إلى الجبار، فقال وهو مكانه: يارب! خفف عنا) قال: والمكان لا يضاف إلى الله تعالى، إنما هو مكان النبي ﷺ في مقامه الأول الذي قام فيه قبل هبوطه.

---

١ - فتح الباري: ٧: ٢١٨.

٢ - المستدرك: ١: ٦٥ وقال: على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

٣ - فتح الباري: ٨: ٦٠٨.

٤ - الحديث رواه أحمد: ٤: ٢٠١ (٢٥٨٠) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت ربي تبارك وتعالى) قال عبد الله بن أحمد: وقد سمعت هذا الحديث من أبي، أملى عليّ في موضع آخر، قال الشيخ أحمد شاكر، إسناده صحيح، وهو في مجمع الزوائد: ١: ٧٨ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

قال ابن حجر : وهذا الأخير متعّين، وليس في السياق تصريح بإضافة المكان إلى الله تعالى[1] .

قلت : واضح أن القائل هو النبي ﷺ، وأن الضمير المذكور «هـو» معطـوف على الضمير في «قال» ومعلوم أن الرسول ﷺ هو الذي سأل ربه التخفيف، وعليـه يتعين ما قاله ابن حجر، وينتفى الأشكال .

الشبهـة العاشـرة وردها :

وجـاء في روايـة شريـك (ارجـع إلى ربـك فليخفف . .) بعد قوله تعـالى : ﴿إنه لا يبدل القول لديّ . . ﴾ .

قال ابن حجر : أنكر ذلك الداودي فيما نقله ابن التين فقال : الرجوع الأخير ليس بثـابت، والـذي في الـروايـات أنّـه قـال : (استحييت من ربي، فنـودي أمضيت فريضتي، وخفف عن عبادي)، وقوله هنا : (فقـال مـوسى : ارجع إلى ربك) قـال الداودي : كذا وقع في هذه الروايـة أن مـوسى قـال لـه : (ارجع إلى ربك) بعـد أن قال : (لا يبدل القول لديّ) ولا يثبت، لتواطؤ الـروايـات على خـلافـه، ومـا كـان موسى ليأمره بالرجوع بعد أن يقول الله تعالى له ذلك[2] .

قلت : سبق في رواية ابن شهاب عن أنس عن أبي ذر فيما رواه البخاري :

(لا يبدل القول لديّ. فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك، فقلت : استحييت من ربي . .) .

وبهذا يتبين أن قول الداودي : (ولا يثبت، لتواطؤ الروايات على خلافه) .

قد ثبت في هذه الرواية ما يرده .

وفي رواية النسائي عن يزيد بن أبي مالك عن أنس :

(فارجع إلى ربك فاسألـه التخفيف، فإنـه فـرض على بني إسرائيل صـلاتين، فما قامـوا بهما، فـرجعت إلى ربي عـز وجل فسألتـه التخفيف، فقـال : إني يـوم خلقت السمـوات والأرض فـرضت عليك وعلى أمتك خمسين صـلاة، فخمس بخمسين،

---

١ - فتح الباري : ١٣ : ٤٨٤ .

٢ - المرجع السابق : ٤٨٦ .

فقم بها أنت وأمتك، فعرفت أنها من الله تعالى صرّى، فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ارجع، فعرفت أنها من الله صرّى - أي حتم - فلم أرجع [1].

وهذا يرد قول الداودي أيضاً.

قال ابن حجر : وقد حققت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسا خمسا، وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها. . وأبدى ابن المنير هنا نكتة لطيفة في قوله ﷺ لموسى عليه السلام لما أمره أن يرجع بعد أن صارت خمسا، فقال : (أستحييت من ربي. .) قال ابن المنير : يحتمل أنه ﷺ تفرس من كون التخفيف وقع خمساً خمساً أنه لو سأل التخفيف بعد أن صارت خمسا لكان سائلا في رفعها، فلذلك استحيي.

قال ابن حجر : ودلت مراجعته ﷺ لربه في طلب التخفيف تلك المرات كلها أنه علم أن الأمر في كل مرة لم يكن على سبيل الإلزام، بخلاف المرة الأخيرة، ففيها ما يشعر بذلك، لقوله سبحانه وتعالى: (لا يبدل القول لديّ).

ويحتمل أن يكون سبب الاستحياء أن العشرة آخر جمع القلة وأول جمع الكثرة، فخشي أن يدخل في الإلحاح في السؤال، لكن الإلحاح في الطلب من الله مطلوب، فكأنه خشي من عدم القيام بالشكر.

قال الشيخ عبد العزيز عبد الله بن بازفي تعليقه : «والظاهر من السياق أن الذي حمل موسى عليه السلاة على ما ذكر من طلب تكرار المراجعة هو رحمة أمة محمد ﷺ والشفقة عليهم، فجزاه الله خيراً» [2].

قلت : ورواية النسائي نص في هذا الشأن.

بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام :

وأما عن الحكمة فيما جرى بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، حيث جاء

---

١ - النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي : ١ : ٢٢١ - ٢٢٣ وفيه: صرّى : بكسر الصاد المهملة، وفتح الراء المشددة، آخرها ألف مقصورة : أي عزيمة باقية لا تقبل النسخ، قال في النهاية: أي حتم واجبة وعزيمة وجد، وقيل: هي مشتقة من صر : إذا قطع، وقيل : هي مشتقة من أصررت الشيء : إذا لزمته، فإن كان من هذا فهو بالصاد والراء المشددة، وقال أبو موسى : إنه صرّي بوزن جني، وصري العزم : أي ثابتة ومستقره، وقال ابن فارس: الإصرار: الثبات على الشيء والعزم عليه، يقال: هذا يمين صري: أي جد: انظر معجم مقاييس اللغة.

٢ - فتح الباري : ١ : ٤٦٣.

في رواية البخاري عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة:

«فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ النبي والنبي الصالح. فلما تجاوزت بكي. قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي، لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.. » الحديث[1].

وفي رواية شريك: (فقال موسى: رب! لم اظن أن ترفع عليّ أحدا.) الحديث.

قال ابن حجر: [2] وفي حديث أبي سعيد: (قال موسى: يزعم بنو إسرائيل أني أكرم على الله، وهذا أكرم على الله مني).

زاد الأموي في روايته: (ولو كان هذا وحده هان عليّ، ولكن معه أمته، وهو أفضل الأمم عند الله..).

قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسداً، معاذ الله! فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاهم الله تعالى، بل كان أسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب على رفع الدرجة، بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزمة لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ، مع طول مدتهم بالنسبة لهذا الأمة، وأما قوله (غلاماً) فليس على سبيل النقص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه، إذ أعطى لمن كان في ذلك السن مالم يعطه أحداً قبله ممن هو أسن منه، وقد وقع من موسى من العناية بهذه الأمة من أمر الصلاة ما لم يقع لغيره، ووقعت الإشارة لذلك في حديث أبي هريرة عند الطبري والبزار، قال عليه الصلاة والسلام:

(كان موسى أشدهم عليّ حين مررت به، وخيرهم لي حين رجعت إليه).

وفي حديث أبي سعيد:

(فأقبلت راجعاً، فمررت بموسى، ونعم الصاحب كان لكم، فسألني: كم فرض عليك ربك) الحديث.

---

١ - البخاري: ٦٣ - مناقب الأنصار (٣٨٨٧).

٢ - فتح الباري: ٧: ٢١١ - ٢١٢ بتصرف.

قال ابن أبي جمرة : إن الله جعل الرحمة في قلوب الأنبياء أكثر مما جعل في قلوب غيرهم، لذلك بكى رحمة لأمته، وأما قوله (هذا الغلام) فأشار إلى صغر سنه بالنسبة إليه.

قال الخطابي : العرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاماً، مادامت فيه بقية من القوة.

قال ابن حجر : ويظهر لي أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا عليه الصلاة والسلام من استمرار القوة في الكهولية، وإلى أن دخل في سن الشيخوخة، ولم يدخل على بدنه هرم، ولا اعترى قوته نقص.

وقال القرطبي : الحكمة في تخصيص موسى بمراجعة النبي ﷺ في أمر الصلاة لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات بما لم تكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك، ويشير إلى ذلك قوله - في رواية قتادة عن أنس فيما رواه الشيخان : (وإني والله! قد جربت الناس قبلك..).

وقال غيره : لعلها من جهة أنه ليس، في الأنبياء من له أتباع أكثر من موسى، ولا من له كتاب أكبر ولا أجمع للاحكام من هذه الجهة مضاهيا للنبي ﷺ، فناسب أن يتمنى أن يكون له مثل ما أنعم به عليه، من غير أن يريد زواله عنه، وناسب أن يطلعه على ما وقع له، وينصحه فيما يتعلق به، ويحتمل أن يكون موسى لما غلب عليه في الابتداء الأسف على نقص حظ أمته بالنسبة لأمة محمد، حتى تمنى ما تمنى أن يكون استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم، والشفقة عليهم، ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه في الابتداء.

وذكر السهيلي (١) : أن الحكمة في ذلك أنه كان رأى في مناجاته صفة أمة محمد ﷺ، فدعا الله أن يجعله منهم، فكان إشفاقة عليهم كعناية من هو منهم.

قال ابن حجر(٢) : وقد وقع من موسى عليه السلام في هذه القصة من مراعاة جانب النبي ﷺ أنه أمسك عن جميع ما وقع له، حتى فارقه النبي ﷺ أدباً معه وحسن عشرة، فلما فارقه بكى وقال ما قال.

---

١ - انظر : الروض الأنف : ٢ : ١٦٢.

٢ - فتح الباري : ٧ : ٢١٢.